ضاد
t.me/twinkling4

مصطفى المتولي

الحلال الأخير

الطبعة الثانية

دار الرسم بالكلمات

الصلاة الأخيرة

THE LAST PRAYER

FB.com/elrasm.bikalemaat

info@elrasmbelkalemat.com

01008693129

Instagram.com/elrsmbkalemat

محرر النسخة: عمرو «3MR»

اسم الكتاب: الصلاة الأخيرة.

الكاتب: مصطفى المتولي.

الطبعة الأولى: ٢٠٢٢.

المراجعة اللغوية: نورهان سعيد.

الإخراج الداخلي: نورهان سعيد.

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد.

رقم الإيداع: 27928 \2021

الترقيم الدولي: 978- 977- 6803- 84- 8

جميع الحقوق محفوظة للناشِر

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يُعرِّض صاحبه للمُساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

الصَّلاة الأخيرة

THE LAST PRAYER

رواية

مصطفى المنوني

جميع الحقوق محفوظة لدى: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

عمرو «3MR»

♚ ﴿ جلنار ﴾ ♚

أوسكار

HAMED

إنچي

JINO

إهداء

إلى كل موقِد نظر لي على أنني حطب

أقول لك ما قاله الشجرُ للفأس:

لماذا ؟!

تمهيد

هنا، حيث الفسق، والجشع، والضجة،
والشهوات العائمة، والرغبات اللانهائية من الشر،
ولا أعلم متى لهذا العالم اللعين أن يستقيم!

البداية

- تبا يا تشارلز! انظر إلى تلك الجثة الغارقة في دمائها! من يستطيع فعل هذا الأمر؟ سيصيبني الغثيان، إن رؤية مثل هذه الأمور تفزع المرء!

في مشهد أثار الرعب في نفوس الجميع وأزعجهم وقزّزهم في آنٍ واحد، قرية (بولو ستيك)، إحدى القرى المجاورة لمدن الولاية في عامٍ لن أكلف نفسي عناء ذكره، فلا أحد يهتم بالتواريخ.

تشارلز، لقد كان رئيس شرطة القرية، وكان يعاين جثة طريحة أرضًا، وبدا مندهشًا كثيرًا من هذه الجريمة. فتاة ريفية نحيلة ترتدي ملابس سهرة قصيرة للغاية وتضع أحمر شفاه على غير العادة، ففتيات القرى لا يفعلن مثل هذه الأمور، وأظافر يدها مطلية بألوان عجيبة، ورائحة العطر الجذاب تفوح منها وكأنها كانت تُجهز لشيء ما، ربما لحفلة أو لعلاقة حميمة مع أحدهم، لكن حدث ما لم تتوقعه، ولقت حتفها بوحشية بعدة طعنات في عنقها.

كان رجال المدن من الصحافة يشغلون الغرفة بآلات التصوير، فلم يسبق لهم أن شاهدوا حدوث مثل هذه الجريمة، أو على الأرجح في هذه القرية.

بدأ تشارلز بسؤال الأقارب والمقيمين بالجوار إذا شاهد أحدهم شيئًا مريبًا يحدث في الآونة الأخيرة، أو عن مدى معرفتهم بهذه الفتاة، أو أي شيء يستطيع أن يوصله إلى خيط في تلك القضية التي بات يرددها الجميع في أرجاء المدينة. ولكنه كان مندهشًا مما يُنسب لهذه الفتاة، فالجميع أخبروه عن كونها فتاة جيدة للغاية، وتحظى بالقبول في أرجاء القرية، ولم تولد العداء أو تفتعله من قبل. أحاديث جيدة عنها ولكن غير سارة لتشارلز، الذي كان يستشيط غضبًا من هذا الحديث ويزعجه الأمر، وبدا التساؤل في وجهه: فتاة جيدة وتحظى بالقبول، فما السبب الذي يدفع شخصًا ما لفعل هذا بها وقتلها؟ ومن له يد في ذلك؟!

حتى وصل إلى حائط سد من الأفكار المبعثرة وحلقات الوصل التي لم تتلاصق وتكتمل بعد، ساد شيئًا من الصمت. ثم أخذ نفسًا عميقًا وردد في نفسه: حسنا، سأترك هذا الأمر لكلارك...

السيد كلارك جوزيف، المحقق الأفضل والأنجح في المدينة، رجل غامض للغاية لكونه منغلقًا على ذاته وبارعًا في حل القضايا المعقدة، والأكثر تعقيدًا، ومتميزًا بها، وكما يطلقون عليه (المحقق الوسيم) فهو ذو إطلالة رائعة ومطمع للفتيات كذلك. يبلغ الثلاثين من العمر كثيف اللحية، ويمتلك عينان زرقاوان، ولم يتزوج من قبل.

قام السيد تشارلز رئيس الشرطة بالقرية باتصالات عديدة والتواصل مع نخبة من المحققين البارعين في المدن، على رأسهم السيد كلارك جوزيف، وصرح كلارك لتشارلز بموافقته مؤخرًا لتولي هذه القضية. في اليوم التالي، كان تشارلز في انتظارهم. توالت السيارات بالقدوم ورجال الصحافة لم يرحلوا الى الآن، فالقضية أثارت ضجة عارمة، وكانوا أيضًا بانتظار كشف هويات المحققين في هذه القضية.

بدأ المحققون بالقدوم واحدًا تلو الآخر، حتى وصلوا جميعًا ولم يتبق سوى كلارك جوزيف، المحقق المغمور الذي أشرف على الوصول متأخرًا وسلطت الأضواء عليه عند قدومه بسيارة فاخرة للغاية سوداء اللون، ولم يكن على عجلة من أمره وكأنه يتنزه

بها. توقف في ساحة الانتظار وقام بفتح باب سيارته، ثم ترجل منها، وسرعان ما رأوه رجال الصحافة وقاموا بالحشد والالتفاف حوله.

- هل تمانع بسؤال يا سيد كلارك أرجوك!

- سيد كلارك ما تعليقك على هذا القاتل وهذه الجرهة؟

أجاب كلارك بشيء من الحزن:

- الجريمة بشعة للغاية لا يقوم بها آدمي.

وأضاف أيضا بشيءٍ من الثقة هذه المرة:

- ولكن هذا القاتل غبي بعض الشيء، فأنا ما زلت على قيد الحياة.

واستبد به الضيق من هذا الحشد والكثرة من الثرثرة، فهو لا يهوى الضجيج، ثم قال:

- عفوا أيها السادة، دعوني أمر، فهناك جريمة واقعة وعمل يتوجب علي القيام به.

زاح الريب والأرق عن وجوه رجال الصحافة قليلا بكلمات كلارك جوزيف، ثم مضى وتوجه نحو تشارلز، وقام بمصافحته بابتسامة رصينة قائلا:

- مرحبا بعالم الأسى والمتاعب!

ضحك تشارلز هو الآخر من ثم رد عليه وقال:

- أراح الرب فؤادك يا كلارك، دائما ما تبعث لنا بالأمل والسكينة في البلدة.

وكان هذا الإطراء يليق بكلارك كثيرا، انحنى الحاضرون انحناءة احترام لكلارك وبادلهم بترحيبات ودية، وبدأ تشارلز يعرفه على مساعديه في هذه القضية:

- أقدم لك يا كلارك المحققين المشاركين معك. السيدة سيلين، السيدة إيميليا، السيد بيل بيتشو، وأخيرا السيد فورمان..

راحوا ينظرون إلى كلارك بأعين مُتلهفة للعمل معه، فجميعهم يعلمون قيمته ويكنون له الاحترام اللائق به كما يعلمون ما يتمتع به كلارك جوزيف من موهبة.

وأضاف تشارلز:

- أيها السادة، السيد كلارك سيتولى زمام الأمور الآن، أنتم الأفضل في مجالكم وبات الجميع يضعون جلّ ثقتهم بكم، فلا تخذلوهم!

فأجابوه جميعًا بأنهم لن يخذلوه، ثم ودّعهم ورحل.

توالت خطوات كلارك نحو موقع الحادثة، وتساءل:

- كيف قتلت؟

وعيناه صوب آثار الدماء المنتشرة في الغرفة فأجابته سيلين بأنها تلقّت عدة طعنات في عنقها طلب كلارك من بيل بيتشو وفورمان الذهاب إلى المشرحة لتفقد الجثة والنتائج وأن يأتوا بها، ثم طلب من إيميليا وسيلين أن يحضروا جميع المجاورين للضحية وأقاربها للاستجواب، وكافة التفاصيل عنهم.

بعد مرور الكثير من الوقت؛ أتت سيلين وإيميليا بالمشتبهين بهم على الأرجح، وكان من ضمنهم رجلًا بديناً مفعماً بالحيوية يسكن بجوار الضحية. طلب كلارك استجوابهم في موقع الحادثة ليُحلل نظراتهم وحديثهم، فهو أهلٌ لذلك، وطلب من سيلين أن تدخل معه وإيميليا تنتظر بالخارج لتشرف على دخولهم واحداً تلو الآخر.

مر الكثير من الوقت؛ ودار بينهم مناقشات حارة للغاية وحادة أيضًا، إلى أن تبقى اثنان فقط وهم من أثاروا شيئًا في نفس كلارك، وتركهم في المؤخرة الأول كان أحد أقاربها، يناهز عمر هذه الفتاة. شاب نحيل، طويل القامة ملتزما دينيا راهبًا كما يقولون، ولا بأس بمظهره كان يدعي (ريك)، ولكنه كان في حالة مزرية مما حدث لها والحزن يعلو وجهه وعند دخوله سأله كلارك بذهول كبير:

- أووه يا ريك! ما أبأس وجهك يا فتى! ما سر هذه الكآبة؟ هل موتها أمرٌّ عسير عليك بهذا الشكل؟!

فأجابه ريك بحزنٍ بالغ:

- نعم نعم يا سيد كلارك.

فقال كلارك:

- حسنًا، فلنجعل هذا الأمر موضع حديثنا.. لماذا طعنتها أكثر من طعنة؟ ألم يكفك واحده فقط؟ أم كنت تعاقبها على ملابسها نوعاً ما؟

وبنبرةٍ ساخرة أضاف:

- هل هذه عواقب الدين أيها الراهب؟ أطلعني عليها أرجوك، فأنا لا أتردد على أدوار العبادة كثيراً ولا أعلم الكثير عنها!

وفي هذه الأثناء، ارتعدت عينا ريك خوفًا، وتلعثم في الحديث وثقلَ لسانه، وبصوتٍ لا يكاد يُسمع من إثر الخوف أجاب:

- لم أقتلها يا سيد كلارك.. أقسم لك!

ضغط عليه كلارك ولم يتوقف:

- حسنًا أيها الراهب تحقيقاً للعدالة في عملك باتت هذه الفتاة تشكل ندبة في مسيرتك النظيفة وإثماً عظيمًا، وأردت أن تزيحها لتبقى مسيرة الراهب ريك خالية من الشوائب التي تمس سمعته، وتتوارى في هذا العمل، فالراهب لا يقتل. ثم يأتي مغفلو الشرطة أمثالي وتناضل مثلما تفعل الآن، وينتهي الأمر وتنجو بفعلتك...

وفي غيظ محتدم أضاف كلارك:

- أتعلم يا ريك، وإن كنت مواظبًا على صلواتك الدينية بعناية فعدالتك الإلهية لن تنجيك من فعلتك والوقوع بيدي، وإن فررت ولم يثبت عنك شيء. فقد تنجو ربما يومًا أو شهرًا أو عامًا، ولكن في نهاية المطاف ستلقى حتفك بالتأكيد، فالجحيم يتسع لكل قاتل. أتعلم ما هو الجحيم يا ريك؟

وبسخرية ومقت ضحك كلارك واستهلَّ حديثه قائلا:

- نعم أنت تعلمه بالتأكيد تلك النار التي ستنهش عظامك والظلام المميت الذي سيمزق بدنك...

ولم يكد كلارك أن ينتهي من حديثه حتى انفجر ريك بالبكاء:

- أرجوك توقف أيها المحقق عن مثل هذا القول، أرجوك.. فأنا لم أعد أتحمل!

قال كلارك:

- حسنا يا ريك، سأتوقف، ربما الآن فقط. انصرف ولا تتوهم بأنك لم تعد في دائرة الشك، أنت لا زلت بداخلها، وسأراك قريبا أيها الراهب...

مع رحيل ريك، كان الليل قد هبط والظلام بدأ يحل. أخرج كلارك عقب سيجار وقام بإشعاله. ساد الصمت قليلًا، ثم نظر إلى سيلين وطرح عليها سؤالا وقال:

- ما رأيك يا سيلين بهذا الراهب؟

فقالت سيلين:

- وهل ستقتنع برأيي يا سيد كلارك؟

فأجابها كلارك وقال:

- حسنًا كي لا أضللك أنا لا أقتنع بشيء أكثر من اقتناعي بما أقتنع به، ولكن رأيك إن كان يتوافق معي فهذا يقوي من رأيي بعض الشيء، وإن كان لا يتوافق معي فهذا يؤكد لي أنني ما زلت على صواب، ومن الوارد أن تكوني على خطأ!

وتابع كلارك سؤاله وقال:

- حسنًا، لم تخبريني بعد.. ما رأيك يا سيلين؟

فأجابته سيلين وقالت:

- لا أظن أنه القاتل يا سيد كلارك

فقال كلارك:

- حسنًا، أحسنتِ صنعا يا سيلين!

ذُهشت سيلين من رد كلارك جوزيف عليها، وقالت:

- ما هذا يا سيد كلارك؟ هل رأيي يتوافق معك؟

فأجابها كلارك بابتسامة ساخرة وقال:

- لا يا سيلين ليس هذا مقصدي، فرأيك يؤكد لي الآن بأن الوغد البدين هو القاتل قبل أن نستجوبه. قومي بإدخاله يا سيلين..

وبشيء من الحسرة على إجابتها البلهاء قالت:

- حسنا يا سيد كلارك.. حسنًا.

الثاني ديفيد ديجو فيتش يسكن بجوار، الضحية رجل بدين مفعم بالحيوية يناهز قرابة الخمسين عامًا، شعر رأسه وشعر لحيته أشيبين غليظ العينين. دخل ديفيد وألقى التحية على كلارك، ولكن لم يلقِ كلارك لها بالاً. جلس ديفيد أمام كلارك واكتفى كلارك بالنظر إليه مثبتاً نظراته صوب عينيه محدقاً بها تاركاً في نفس ديفيد مزيجًا من الخوف والرهبة والذي أصبح شاحب الوجه مروع الفؤاد. وباتت آثار التوتر تظهر عليه، وأخيرا تحدث كلارك:

- السيد ديفيد أقذر نموذج للرجال. هل لديك مال يا سيد ديفيد؟

فأجابه:

- نعم.

- مأوى؟

فأجابه:

- نعم

فقال كلارك:

- حسناً، لماذا لم تتزوج مجددًا بعد أن هجرتك زوجتك إن كان هذا مبغاك مما تفعله؟ ألم يثقوا بك؟

أجابه ديفيد بشيء من الإنكار والتعجب قائلا:

- لا أعلم ما تقصده يا سيد كلارك

فقال كلارك:

- ما أقصده ديفيد ديجو فيتش زير نساء كما يقولون، يهوى الجنس بل يتنفسه، الخمور لا تفارق يده!

فقاطعه ديفيد بشيء من العنف قائلا:

أرى أن هذا لا يعنيك!

فواصل كلارك حديثه قائلا:

- النزاعات الزوجية الكثيرة قبل أن تهجرك زوجتك تشير إلى أنك رجل دنيء وغليظ، لا تتحمل مسؤولية منزلك برغم كثرة الأموال والنساء والخمور همك الأكبر.

فقاطعه ديفيد وقال مجددًا:

- أرى أن هذه الأمور لا تعنيك أنت هنا لاستجوابي في دائرة قضيتك فقط.

فتبسم كلارك وقال:

- حسنًا، هدئ من روعك، أعلم أنك بريء من القتل إلى حدٍ بعيد يا سيد ديفيد، وسأطرح أسئلتي في دائرة قضيتي، ولكني أتساءل، مواصلتها رفض الزواج بك مرات عديدة، ألم تتفهم هذا الأمر بأنك من المرة الأولى كانت نواياك جيدة وتريد أن تكون معها تحت سقف منزل واحد بالزواج؟ إن أمر هذه الفتاة مريب للغاية، ولكن أتدرٍ إن كنتُ مكانها! كنتُ سأواصل الرفض أيضًا...

وابتسم كلارك ابتسامة عريضة لديفيد واستهل حديثه قائلا:

- هل لك أن تخبرني عمّا حدث هنا الليلة الماضية؟ وكيف قتلتها يا ديفيد؟

وببرود يشبه الثلج أو أكثر أجابه ديفيد قائلا:

- ليس لدي أي فكرة أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك أيها المحقق!

ونجح هذا الأمر في جعل كلارك جوزيف ينفعل، وبشيء من العنف والسخط ضرب كلارك يده بالطاولة، ثم قال:

- أتدرِ أيها الحقير ليس بيننا الأكبر سنًا، فأعمالك القذرة تجعلك متواضعًا وصغيراً للغاية، ولن أقدم احترامي لك أيها البدين بعد الآن.

وفي تلك اللحظات دخلت إيمليا لتخبر كلارك بان "بيل" بيتشو" و"فورمان" قد عادوا من المشرحة ومعهم نتائج الحادثة، ليخبروا كلارك بشيءٍ مريب، وهو أن هذه الفتاة تعرضت للاغتصاب قبل أن تلقى حتفها وتُقتل. وفي فتور ضحك كلارك ونظر إلى ديفيد وقال:

- أيها اللعين، أردتَ أن تصل إلى جسد هذه الفتاة بشتّى الطرق وبالأخص أنها تسكن بجوارك وفرصة ثمينة، فهي فاتنة للغاية وجسدها رائع ومتاحة لك في أي وقت، ولكن لم تنجح في هذا الأمر، فعرضت عليها الزواج مرةً تلو الأخرى، فجنون الشهوة سيقتلك، ولكن لم تنل سوى الرفض، إلى أن طفح بك الكيل، فدخلت المنزل خفية وقمت بتهديدها بهذا السكين واغتصابها ونلت مرادك،

ولكن بات هناك شيءٌ يقلقك. فألبستها هذا الثياب لتبعد الشكوك حولك. وترمي الشرطة أنظارها إلى فاعلٍ آخر من المدينة، ثم قتلتها ورحلت، يا لك من ساذج!

وهنا لم يستطع ديفيد الدفاع عن نفسه فلم يجد ما يخبره به، وصمته أدانه، فطلب كلارك استدعاء الشرطة لأخذ هذا الرجل إلى أن يُصرّح بفعلته ويخبرهم بموضع آلة القتل.

انقضى هذا اليوم وبدا كلارك متعبًا منهك القوى، وبدا الشحوب على وجهه.

دخل "بيل بيتشو" ومعه باقي أفراد المساعدين مع فرحةٍ عارمة تعلو وجوههم.

قال فورمان مبتسما:

- أحسنت صنعا يا سيد كلارك!

توقعوا جميعهم ترحيب كلارك الحار لهم ولكن اكتفى كلارك بالصمت وأوما برأسه فقط، وكأنه أبى أن يتحدث. كان تصرف كلارك شيء مريب للغاية، فهو لم يكد ينقضي من حل قضيته لتوّه، ولا يستوعبون هل هذه طقوس كلارك جوزيف في حل القضايا أم ماذا؟ ولكن بيل بيتشو كان أنضج قليلاً من هذه التراهات، ويعلم أن هناك شيء ما يدور بداخل رأس كلارك، فهزة رأسه امتزج بها بعض الشك. وفي تلك الأثناء تركهم كلارك وغادر بسيارته، وتبعه "بيل بيتشو" بسيارته ليتحدث معه ويعلم أين مقصده وأين يتوجه هذا المحقق الغامض.

وهنا شرع المطر في الهطول بغزارة على نحو عنيف مضى الوقت في الطريق ولم يعلم كلارك أن بيل بيتشو، خلفه، توقف كلارك في حانة من إحدى حانات المدن المغمورة. كانت الساعة حوالي الثانية والنصف، كاد بيل بيتشو أن يفقد صوابه مما يفعله كلارك، ولماذا الحانة!

في غمرةٍ من هذه الجلبة التي تدور بداخل رأس "بيل" وذلك الهياج المزعج، قرر أن يدخل وراءه الحانة.

كانت هذه الحانة الأشهر في المدينة تُدعى (حانة "جيلز" البغيض)، ولا أعلم السر الدفين وراء هذا الاسم في الحقيقة وبالعودة إلى صلب الموضوع كانت هذه الحانة تُشغى بالعاهرات واللقطاء من فتيات الليل. بدا على بيل التوتر بعض الشيء، فلم يسبق له وأن دخل حانة كمثل هذه من قبل، ويتساءل: هل الرزيلة قد احتلت جوف كلارك وتدنّى به الحال ليقيم علاقة مع إحدى العاهرات هنا؟!

بات يتساءل وينفي، ويردد: لا لا لا أظن ذلك.

وفي هذه الأثناء، وجد ساعي الحانة أمامه يخبره عن ماذا يريد أن يقدمه له.

تلعثم بيل قليلاً وشحب وجهه شحوباً بالغاً فهذه زيارته الأولى هنا، وبارتيابٍ ليجاري الأحداث طلب منه ثلاث زجاجات من الخمر. في غمرةٍ من الذهول الشديد من الساعي أجابه قائلا:

- حسنا يا سيدي، دقائق قليلة وسأحضرها لك.

جلس بيل على طاولته، وأجال طرفه فيما حوله بحثًا عن كلارك، وفي غضون دقائق استطاع رؤيته بالفعل على الطاولة الرئيسية للحانة، وأمامه الكثير من كؤوس الخمر يحتسيها واحدة تلو الأخرى. حركّ بيل كرسيه قليلاً ليكُن على نحوٍ مباشر من الرؤية ومشاهدة كلارك الغامض الذي يبدو وكأنه يجدد قواه بعد إجهاد اليوم وأهواله بالخمور. وفي هذه الأثناء جاء ساعي الحانة بزجاجات الخمر إلى بيل، وقدمها له ثم انصرف، فقرر بيل الذهاب والجلوس مع "كلارك" ليتحدثا، ولكن قاطعته فتاةٌ تنحدر باتجاهه في ريعان جمالها وأنوثتها الفاتنة عيناها تلمعان ترتدي ثوباً قصيراً أحمر اللون يُظهر أعلى ثدييها، كما أنها كانت ثملة على نحو مبالغ فيه!

تقدمت نحو كلارك وجلست أمامه مباشرةً، ثم أمسكت بيده وكأنها تريده أن يتسكّع معها قليلا أو تذهب معه إلى منزله، ولكن كلارك لم يتنحَ عن كرسيه. بدا على بيل بيتشو الاندهاش قليلاً فأفكاره باتت في تخبط، يُهمهم في نفسه قائلا: حسنًا، كل ما في الأمر أن كلارك يريد أن يحتسي الخمور فقط وأنا على خطأ!

ازدادت هذه الفتاة في المبالغة وهي تلمس ثوب كلارك وتداعبه بحركات يدها على وجهه، وفي أنحاء جسده من أعلى لأسفل، ولم يبالِ بها كلارك، ولكن كان هناك من يبالِ بها كثيراً. أشار إلى عصابه من السكيرين أن يتبعوه وقاموا بالالتفاف حول كلارك، وعند ذلك نهض بيل بيتشو على قدميه، فالموقف الآن يتطلب هذا ولكن ما منعه من التقدم هو ردود أفعال كلارك، الذي بدا وكأنه لا يلقي لهم بالاً حملق كلارك في وجه هذا الرجل رجل ضخم الجثة جلف وخشن جاحظ العينين رأسه ضخم وتقاسيم وجهه ضخمة وقدمه ويداه بمثابة ثلاثة رجال عيناه تضحان المكر والشراسة. ابتسم كلارك وعقد يداه حول خصر هذه الفتاة وقام بالاقتراب منها وتقبيلها بشكلٍ درامي رائع للغاية، ولكن هذا الرجل قد غاظه عناد "كلارك جوزيف" غير المتوقع، فأمسك بكلارك على حين غفلة منه وطاح به أرضًا. وعندئذ اقترب بيل أكثر لإنقاذه، فهو على دراية بأن كلارك الآن ثمل ولن يستطيع الدفاع عن نفسه، وسينهالون عليه بالضرب المبرح، ولكن نهض كلارك على الفور مما جعل بيل يتوقف مجدداً. حملق كلارك في عيني هذا الرجل، ثم قال بشيء من الثقة:

- سأسامحك على فعلتك تلك، ولكن أغرب عن وجهي الآن!

وفي تلك الأثناء كان جميع من في الحانة يشاهدون هذا الموقف وما يحدث.

رد عليه الرجل بصوت حاد وغليظ للغاية قائلاً:

- لن أغرب، وسأعلمك كيف تُقبل هذه الفتاة في وجودي.

كأن رد هذا الرجل لم ينل إعجاب كلارك كثيراً، ففرك كلارك راحتيه في عصبيه وقال:

- حسنًا، إذا كنت ترغب في أن ترى وجهك البغيض هذا مُشوه فلك مطلق الحرية.

وتابع حديثه قائلاً:

- وهذه الحنجرة التي تشبه حنجرة الثيران لو صاحت أمامي مجدداً سأنتزعها من حلقك.

فرد عليه الرجل هو الآخر بشيءٍ من السخرية قائلاً:

- ليس ثمة ما هو أسهل من الحديث وأرجوك قدم لي هذه الخدمة وأخرجها فأنا حاولت مرات عديدة ولكنها عالقة!

وفي شيء من نفاذ الصبر صرّ كلارك على أسنانه، وفي تلك اللحظة تنفس غضباً وعيناه قد اتسعتا، ومن أثر الانفعال وجّه قبضته إلى وجه هذا الرجل، فسقط أرضًا ولم يبرح مكانه وكأنه فاقد الوعي إلى الأبد. ومِن ثَمَّ مال كلارك برأسه ونظر إلى باقي أفراد تلك العصابة، وبغضب شديد أضاف قائلاً:

- لقد أسديت خدماتٍ كثيرة لأمثال هذا الوغد، ولا مانع لديّ من أن أُسدي خدمات مماثلة لكم. من يريد أن يتقدم أولاً؟ هيا!

وهنا لم يؤانس في نفس أحدهم الجرأة لمواجهته، اكتفوا فقط بالفرار من الحانة. توجّه كلارك نحو بيل بيتشو مازحًا:

- ما هذه الفوضى يا بيل؟ هل وقع هنا عراكٌ ما؟

ذُهل بيل وتضرج وجهه من مرارة خيبات تفكيره وأجابه:

- لا أظن ذلك يا رجل.. لا أظن ذلك!

وبعد ذلك سارا إلى الخارج وتوجها نحو سياراتهما، حتى توقفوا عند نقطةٍ ما. حل الصمت قليلاً وقال بيل:

- أنت رجل غريب للغاية يا كلارك، لا أحد يستطيع فهمك!

فضحك كلارك وقال:

نعم، أعلم هذا الأمر.

ليقاطعه بيل قائلاً:

- كفاك مزاحًا أرجوك ذلك المزيج من الدهاء المبهر والنجاح لا أستطيع فهمه! كلارك جوزيف يقصد حانة خمور رديئة بعد نجاحه في حل قضية غامضة ليتسبب في افتعال المتاعب هناك ويحدث عراك وينهال على الرجل ضرباً؟!

تنهد " كلارك " ثم تبسّم حسرةً على هذا الحديث وقال:

- أتعلم يا بيل! إن تلك الأشياء إمارات على الإخفاق والفشل، لقد كان خليقاً بي أن أحزن حزناً شديدًا وأصب غضبي على شيء ما، في القضايا دائماً ذات الطباع المتناقضة يا بيل لا تحدث مثل تلك الأمور.

وتابع حديثه قائلاً:

- مايحدث هذا استباقاً فظًا للنتائج وكأن هذه القضية مدبرة من شخصٍ ما، وكأنه أرادني أن أشك في ديفيد ديجوفيتش، وبالأخص أن كل مؤشرات الجريمة تشير إليه، لا توجد قضية من قبل صارت معي بشكلٍ سلس كمثل هذه القضية.

فقال بيل في حيرة من أمره: وماذا ستفعل؟!

فأجابه كلارك:

- ظنون يا بيل ظنون فقط، أعلم أن ظنوني لا تخفق ولكن ما باليد حيلة. شعوري بالذنب سيقتلني، لا أريد اكتساب شهرة من شنق أشخاص أبرياء.

وبدا على حديث كلارك الضيق والحزن فهو لا يريد أن تلتف حبال المشنقة حول أعناق أشخاص ليس لهم يد في ذلك. وأضاف أيضًاً: وراء هذه القضية سِر دفين يابيل وراء هذه القضية. سر دفين بالتأكيد.

وفي ضيق وشيء من عذاب النفس وكأنه مستسلم لما حدث قال:

- أرجو هذه المرة أن تكون ظنوني خاطئة.

ثم ودع بيل بيتشو وأخبره بأن يُطلعه على الجديد في تلك القضية، وعلى اعتراف ديفيد والتحقيقات الجارية عن سكين القتل، ثم غادر بسيارته.

- أفسحوا له الطريق، إنه كلارك جوزيف، الوغد المثالي...

- من أنت يا رجل؟!

- يا للهول! أنت تعرفني منذ القدم.. لقد رشحتك بالفطنة والذكاء من قبل ولكني بالغت بهذا، لم تعرفني بعد؟ حسناً، أنا القاتل الذي لم يقتل، وأنت أملي الذي خاب وبالغت في استهتارك النسبي لمصالحك الخاصة.

- لا لا، أنت كاذب، أنا لا أخطِئ هذه مؤامرة لتشويه سمعتي أيها الوغد!

- لا، أنت تُخطئ، وادعائك المثالية بداية الخطأ.. مَن مِنا وغد؟ أنا القاتل الذي دُقَّ عنقه حسرةً وظلمًا بقرارٍ منك.. وها هو عنقي لأثبت لك... وقام بانتزاعه له..

- يا إلهي! يا إلهي!

وفي نوبات من القهقهة قال:

- لن تنجو أبدًا من جام غضب الرب يا كلارك...

لن تنجوا أبدًا من جام غضب الرب يا كلارك...

في غفلةٍ انكمش كلارك من فراشه مرتدًا إلى الوراء، لقد دفعته تيارات التفكير إلى حد الجنون وخليقًا بمخاوفه أن تولد له كابوساً بشعًا كهذا وأن تثير أعصابه إلى هذا الحد. قام كلارك فزعاً قائلاً:

- لا لا، تبا لهذا المنام وتلك الرؤية!

ولم تكد تنقضي دقيقتان وتلقّى كلارك جوزيف اتصالاً، لقد كان هذا الاتصال من إيمليا، وكان في صوتها شيء من السعادة العارمة. حادثته قائلة:

- مرحباً يا سيد كلارك أنا إيمليا سوف أنبئك بخبرٍ سارٍ للغاية، لقد وجدنا سكين القتل في منزل ديفيد ديجو فيتش مُخبّأة في شرفة منزله، وأخبرني السيد تشارلز بأن أحيطك علماً بذلك، ويخبرك أيضًا أنهم سيتخذون جميع الإجراءات لمحاكمة هذا الوغد اليوم، والسيد تشارلز والبقيّة بانتظارك.

فأجابها قائلاً:

- حسنًا هذا جيد يا إيمليا وأغلق هاتفه.

بخطواتٍ معدودة، سار كلارك ثم جلس أرضًا لاصقاً ظهره بالحائط ناظراً إلى أعلى، وأنشأ يصغي بانتباه شديد لما يدور في ذهنه والخوف يفور في عروقه ويهمهم في نفسه قائلاً منذ متى تساورني تلك المخاوف! منذ متى وأفكاري تُشعل الثورات ضدي! لا أتمكن من فهم تلك الأمور!

حاول كلارك أن يُهدِّئ من روعه قليلًا، ولكن لم ينجح في هذا الأمر، وانهزم في نزال تصارع الأفكار بداخله، وأضاف قائلاً: كل ما أستطيع تقديمه فعلته، هل أنا من أوصد أبواب السعادة فقط ولا أهب لنفسي الطمأنينة؟ أم هناك جزءٌ ناقصٌ بعد؟ أم ماذا؟

ظل كلارك دقائق كثيرة في تساؤلات وتحول مظهره من جديد إلى هذا المحقق المروع الخائف ودفعته ظنونه تحت وطأة الخوف، لينهض ويعاود الاتصال بها مجدداً ليقطع الشك باليقين قائلاً:

- مرحبا يا إيمليا أنا السيد كلارك جوزيف. أرجوكِ أخبري تشارلز والبقيّة بأن لا يفعلوا شيئًا بديفيد إلى أن آتي وأرجوكِ طابقي بصمات السكين ببصمات ديفيد.

وبشيءٍ من الاندهاش قالت إيمليا:

- ما سر هذا التغير الطارئ يا سيد كلارك؟!

ليجيبها كلارك قائلا:

- مزاجي اليوم مزري، وأستشعر شيئًا من الضيق والفلق يا إيمليا والدني تحفظات كثيرة على تلك الأمور.

واستأنف حديثه قائلا:

- افعلي ما أخبرتك به فقط إلى أن أصل.

ثم أغلق الهاتف معها. تنفّس الصعداء قليلا ثم قال في نفسه: حسنا يا كلارك، ما فعلته الصواب لكيلا تُحسر في الإخفاق، وهذا كل ما في الأمر، لنرى نهاية هذا الاهتياج الغريب من الظنون.

توجه إلى خزانة الملابس ليبدل ملابسه، ثم انقضى ليوصد باب منزله وينطلق بسيارته نحو (مخفر شرطة بولو ستيك). مر الكثير من الوقت حتى وصل كلارك إليهم، فمنزله يبعد مسافات عديدة من تلك البلدة وكعادة فضول رجال الصحافة الذين يترابطون حشودًا حول مخفر الشرطة ينتظرون توجه هذا الوغد القاتل إلى المدينة لينفذ به قرار الإعدام شنقًا. تضخمت الأصوات والصيحات لرؤيتهم كلارك، وكان رجال الشرطة كافين لصدّهم عن الذهاب إليه وتعكير صفو ذهنه، ولكن حدث ما لم يُتوقع.. واصل كلارك سيره نحوهم، فتضخمت الصيحات أكثر فأكثر، والتي بالكاد استطاع تشارلز ومعاوني كلارك في تلك القضية سماعها، وأصابهم شيء من اليقين في أنفسهم بأن كلارك بالخارج. نظر أحدهم بالفعل من النافذة فوجد كلارك، ولكن ما لم يستطع فهمه هو تصرف كلارك نحو رجال الصحافة، كلارك الذي كان يفر من رجال الصحافة يتوجه إليهم؟ ثم قال في دهشة:

- سيد تشارلز، أنظر إلى ذلك

رجال الشرطة أيضًا تعجبوا بعض الشيء، لقد أخبر كلارك رجال الصحافة أن ينصتوا لما يقوله لهم، وفي ذهول من تشارلز ورفاقه الذين لا يعلمون ما هذا التصرف الذي استحوذ على كلارك وهذه الحالة غير السارة. وهنا ترك كلارك في نفسهم شيئًا من القلق، وعلى رأسهم تشارلز عندما أخبر إيمليا أن يوقفوا قرارات تنفيذ الحكم ويرفعوا بصمات السكين، فأصابهم الفضول ليتوجهوا خارجًا ليشاهدوه ويرهفون السمع أيضًا. كان كلارك بالقرب الكافي للغاية من رجال الصحافة، ثم قال:

- حسنًا.. حسنًا، أنصتوا جميعكم فضلا ولا تقاطعوني، منذ أن هبطت العتمة هنا وظلمتها من الأعمال البشعة والجرائم التي ارتكبت في البلدة وأنا أفعل ما يتعيّن علي فعله، وأمنع الأهوال الوحشية من التمدد والاتساع. واجهتُ جرائم لا عدد لها في كل صباح ومساء، وحاولت كثيراً صد شعاع القتل في المدينة وإضرام النيران.

لقد كنتُ مثاليا، أو أظن ذلك، وأخبركم الآن أنا لست مميزاً، وما تروه انعكاس لشخص حالفه الحظ فقط، أو فعل كل ذلك وحقق نجاحه في محاذاة الحظ. أقول قولي هذا أمام الجميع للتو، لتقتنعوا اقتناعا لا لبس فيه كلارك جوزيف الذي لا يخطئ يخطئ، ومن الوارد أن يخطئ.

ثم بشيء من السخط من نفسه تبسّم كلارك وانفض من حديثه تاركًا للجميع شيئًا من الحيرة والذهول من هذا الحديث. اندفع تشارلز نحوه في اعتزاز بالغ ليقابله، وإذ به يُحدثه بشيء من العنف قائلا:

- ما هذا يا كلارك؟ لقد ألقيت كلمات من اللهيب وحديث يشوبه ذعر للجميع، ولم يكن خليقا بك أن تقلل من شيء ذا شأن وتُقلل من نفسك بهذا الحد بمثل تلك الأمور وما خطب وجهك؟!

فأجابه كلارك بنفور

- أنا بخير يا تشارلز.. أنا بخير.

قاطعه تشارلز قائلا:

- كيف يا كلارك؟ أرى الشحوب يرون في وجهك، وإمارات الذعر تصيبك! ولكن لم يتفوه كلارك بحرٍف واحد، إلى أن دخلا معا. استأنف تشارلز حديثه وواصل طرح أسئلته قائلا:

- ما الأمر يا كلارك؟ أخبرنا!

ليجيبه كلارك في ضيق.

- إن المنام الرهيب الذي رأيته هذا الصباح يفعل ذلك بي، وتلك آثاره لا أكثر يا تشارلز، وسأكون بخير.

وبشيء من الفضول قال فورمان:

- أخبرنا به يا سيد كلارك!

فقال كلارك بشيء من التملص:

لا تبالِ يا، فورمان لا، تبالِ فما هي إلا ساعات قليلة ستنقضي لنعلم هل ديفيد هو القاتل أم لا، لربما أنا على خطأ، لربما حقًا.

بذهول من الحاضرين بما يذعن به كلارك بحديثه مجددا، والذي جعل سيلين لا تتماسك قائلة بعنف وبضيق:

- لقد وصلنا إلى نهاية القضية يا سيد كلارك هل تشك حتى هذا الوقت بأن ديفيد ليس القاتل؟ هل تمزح؟!

قاطعها كلارك قائلا:

أعلم يا سيلين مقصدك بأنني عنيد وإذا عزمت على أمرٍ ما لا تنفض أوصاله مجددًا، وأنتِ تريدين تلك القضية أن تنتهي أعلم ذلك، لك ملء الحرية في الاعتراض على حديثي، والمخاوفي ملء الحرية في جعلي أفعل الصواب وأكون على حذرٍ من جعل شخص ليس له ذنب يدفع ثمن غلطتي تلك وتلتف حبال الموت حول عنقه.

وتابع حديثه قائلا:

- وأنا على يقين بأنكِ لا تريدين أن تُقتل نفس ليس لها ذنب بتلك القضية لننتظر ونرى.

فاكتفى تشارلز وفورمان بالنظر إلى بعضهما البعض. وفي تلك الأثناء، نهض كلارك وتوجه نحو ديفيد الذي كان في حالة مزرية لا يُحسد عليها. لاحت ابتسامة ساخرة على شفتيه عند رؤيته لكلارك، وقال بشيء من اللامبالاة:

- هل سأحاكم الآن؟

فبادله كلارك الابتسام وقال له:

- لماذا لست خائفًا؟ أم اشتقت للرب وتريد الذهاب إليه باكرًا؟

فأجابه ديفيد قائلا:

- أنت في حالة نفسية تجيز المزاح والهزل، لا أحسدك، وأعلم أنه من الطبيعي أن يصاب المرء بالخوف في ظروفٍ كهذه، ولكن أنا يا كلارك لست خائفًا من شيء عجيب حقا، أليس كذلك؟

فأجابه كلارك بنفس نبرته السابقة الساخرة قائلا:

- نعم عجيب للغاية، ويقتلني الفضول لأعرف لماذا السيد ديفيد ديجو فيتش العظيم ليس خائفا!

فبدأ ديفيد بالحديث قائلا:

- حسنا، سأرضي فضولك...

وبات ديفيد يروي لكلارك قصته، مما اضطر كلارك للاستماع إليه بعناية وأنشأ يصغي. ليقول ديفيد:

- لم يكن لدي عذر البتة لأُبرر هل قتلتها أم لا، وإن لم أكن يا كلارك، لقد تراكم الظلام بداخلي، أعترف بذاك الأمر، ولكن دائما هناك نقاط تحول وأشياء تدفعنا لذلك.

ويتابع:

- لقد حييت بقدر ما حييت ولم أجد سوى الضجة والجلبة، بالاهتمام تبلغ مساحات عظيمة من الود واللين والحب، ولكن الاستخفاف بالمشاكل يولد التمرد ويميت القلب، وبين هذا وذاك مساحات تبلغ خمسة أضعاف تلك الأرض. وهناك بداخلنا ذكريات لا تلبث قط أن تتلاشى، إن هذا الطفل البائس لا يمكن أن يكون ولدي، وأنكر والدي الاعتراف بي! هذا الغلام الرديء لن يصاحبنا وباتوا ينفكون من حولي! ولا أحد قبل مصاحبتي. ونعم، غلام رديء بشع مئة بالمئة، ولهم الحق فيما يقولوه. في تلك الحجرة المظلمة فتى مريض ضعيفو ولا يمتلك أموالاً، والجميع اضطهدوه، لا يستطيع الزواج لا يستطيع الخروج من تلك الغرفة المظلمة، ولا يستطيع مواجهة من بالخارج ولا ذنب لهم الذنب حقًا في عنق عائلتي العائلة. يا كلارك، العائلة....

وبكلمات دامعة قال:

- العائلة هي من تعطي الثقة في نفوس أبنائهم، يلبسونهم تاجًا من الكبرياء ليستطيعوا أن يحيوا ويتجاوزوا الألم والضعف والشقاء والآثام، ولكن ما قولك في عائلة تضطهدك؟ تُحملك المعاناة والمشقة وتسلب منك الثقة! عندئذ كيف ستستطيع مواجهة العالم؟

ويتابع قائلاً:

- مرت الأعوام، وجاءت عدالة السماء توفي والدي، ولم ينجب غيري، وبات لي الحق في جميع أمواله، وكانت هذه العدالة الأعلى مقامًا بالنسبة إليّ، الأموال ولا غيرها. وأعلم أن الأموال لن تستطيع أن تغير الماضي، ولكن تستطيع أن تُحدث طفرة فيما هو قادم، فبالأموال تستطيع أن تغير الأشخاص، وتحول ديفيد المتشرد القبيح إلى رجل آخر. اشتريت منزلا وتزوجت بفتاةٍ وسيمة، ولا أستطيع إنكار أنني تزوجت جسدًا لا أكثر...

ثم قال:

- أتعلم يا كلارك، ما زعمته عني ليس بصواب، هي هجرتني لأنني من أردتُ ذلك، فأنا لم أعد أتحمل رؤيتها مع غيري في منزلي....

وبشيء من التعجب قاطعه كلارك وقال:

- ماذا تقصد يا ديفيد؟!

فقال ديفيد:

- نعم، ما شغل بالك هو الصواب. فتاة في ريعان شبابها لم أرَ كجسدها ولم أرَ فتاةً في وسامتها، تتزوج رجلا أكبر منها عمرا، لماذا؟

واستأنف حديثه قائلا:

- كان زواجنا كصفقة تم عقدها بين شياطين الجسد والشهوات مقابل الأموال....

ويتابع:

- كان الرجال يترددون على المنزل من حين لآخر لتمارس عهرها معهم، وكنت أعلم وأشاهدها بمحض عيني، وأتجاوز كي لا تهجرني، وهي تعلم علم اليقين أنني على علمٍ بهذا الأمر، ولكن كانت على دراية بأنني لن أتفوه بكلمة واحدة، لأني بحاجةٍ ماسة إلى هذا الجسد أيضًا بعد الكثير من الحرمان واستسلامي التام لشهواتي. ولكن ذات مرة طفح الكيل بعدما تدنت رجولتي أرضًا، كنت عائدًا من الحانة إلى المنزل باكرًا وأفرطتُ في الشراب، ولكنها قامت بطردي بحجة أنها تفعل شيئًا هاما، وأنا أعلم بأن هناك رجل بالداخل، فأوصدت الباب في وجهي. لبرهة كنت سأتقبل ذلك مع العلم بأنني كنت في أقصى حالات النشوة والاشتياق إليها، وأي غلطة ستعوق كل ذلك وستثير المتاعب! ولكن شيء ما كان يتردد بداخلي بعدم السماح بهذا الأمر، ربما وهو الأولوية لا أكثر أن أكون أنا قبل غيري. وبعد دقائق دخلت المنزل، واقتحمت الحجرة، وكانت شكوكي في محلها بأنها في الفراش مع غريب، وقد لاذ بالفرار من النافذة عند رؤيتي، وانهالت عليَّ بالشتائم لفعلتي تلك وهي تزعم بأنه كان رجلًا هامًا وبمثابة صفقة هائلة لها، بل هو أهم مني. وأثبت ذلك بعدما هجرتني معه. أوصدت باب الحجرة تلك الليلة، وكانت الليلة الأخيرة لي معها، وبمثابة انتقام، ولكن لم تطل معي في الفراش ونفد صبرها من بشاعتي، وسرعان ما فرَّت هاربة هي الأخرى.

واستأنف ديفيد حديثة قائلا:

- أردت أن أغير تلك الحياة البائسة وعرضت الزواج على جارتي كثيراً ولكنها لم تتفهم كوني أريد أن أحيا حياةً جيدة معها ورفضتني عدة مرات..

ويتابع حديثه قائلا:

- ولكن أقسم بروحي الآثمة أنني لم أرفع رايتي في هذا الأمر، وواصلت البحث عن غيرها إلى أن وصلت إلى آخر فتيات القرية عائدًا بالرفض، ولم يفتح لي أحدهم قلبه ليلتمس عطفي، وكان على الأرجح أن أصير أسوأ حالًا من ذي قبل. في مزيج من الحسرة والضعف لعدم تقبلهم لي قط أفرطتُ في الشراب وتبذير الأموال من أجل العاهرات وقلت في نفسي: من لا يتقبلني بالمنطق تجعله الأموال يتقبلني بالمنطق.

ويستأنف حديثه قائلا:

- غزوت أجساد فتيات كثيرات مع مختلف الأعمار، ولم تنطفئ نار اللهفة بداخلي وتطلعي إلى المزيد فالشهوة كالنار يا كلارك، وقودها النساء. وكنت سأواصل ولكن توقفت ليلة قتل جارتي، فباستطاعة خطأ شخص تغيير مجري حياة بأكملها. لم أقتلها، وأعلم أن الوقت قد مر على مثلِ هذا الحديث، ولكن أشعر بأريحية كمَن قتلها وفر هاربًا وشخص غيره سيعاقب ولا مانع لدي من أن تتوقف تلك المهزلة التي أعيشها، لقد نفد صبري من أن أتحملني مجددا...

وبتعجب ومقت ضحك ديفيد ضحكة ساخرة على حاله وقال:

- ومم سأخاف وأكترث؟ من الموت؟ لقد أماتتني الحياة مرات عديدة، وهذه الموتة ستكون أفضلهم يا كلارك.

فقال كلارك:

- المسألة ليست بأفضلهم يا ديفيد لقد وجدوا بالفعل سكين القتل في منزلك مخبأة بشرفتك!

وهنا تعجب ديفيد وقال:

- ماذا تقول؟!

فأجابه كلارك قائلا:

- كما أخبرك يا ديفيد.. كما أخبرك.

وبعبارات راشحه بالمؤاساة أضاف كلارك:

- كانوا سينفذون بك الحكم صباح هذا اليوم، ولكن غريزتي لم تسمح لي بتنفيذ العقاب على الفور، وشيء ما منعني. طلبت منهم إعادة فحص هذا السكين ومطابقته على بصماتك، وأرجو ألا تكون أنت القاتل وأن تكون صادقًا فيما أخبرتني به، لتتاح لك فرصة ثمينة لتغير معي حياتك وتسلط شعاع الأمل على قلبك مجددًا.

وعند انتهاء كلارك من هذا الحديث قال له:

- أراك لاحقا يا ديفيد.

ثم رحل تاركا ديفيد الذي أشرقت الابتسامة على وجهه مجددًا، لقد راق قليلا عند سماعه تلك الكلمات، وكأن الحياة عادت بداخله من جديد.

خرج كلارك إلى تشارلز والرفاق ليقص عليهم ما قاله ديفيد، وقال:

- شيء عجيب حقًا ما قاله، ثمة ذكريات قديمة تملأ صدره وتجعل منه شخصا كهذا وأطاحت ببراءته!

فقالت سيلين:

- لهجتك تؤكد لي أنك تصدقه يا سيد كلارك بعد كل ما اكتنفه من رذيلة وعار!

ليجيبها كلارك قائلًا:

- أصدق نفسي يا سيلين، أصدق نفسي، فجميعنا أجبرنا على أشياء رغمًا عن إرادتنا، وكم كنا نود لو أنها لم تحدث. وأمثال هذه الحكايات كثيرة، وأمثال ديفيد كُثُر للغاية. الحياة ليست جميعها حافلة بالبهجة والسعادة، وإنكارك هذا عبث لا طائل تحته.

فقطاعهم بيل قائلا:

- الحياة غير المتناغمة تخلق شخصًا غير متناغم مع الحياة.

فرد عليه كلارك قائلا:

- مؤكد هذا الكلام يا بيل، وهذا ما أقصده، منذ نعومة أظافره حتى صار شاباً وجميعهم عاملوه بالسخط والمرارة ولم يجد ولو مأوي واحدًا له، حتى غلب على وجهه التجهم والشر وتراكم الكُره لَمن حوله، وبعد حصوله على الأموال، كان خليقًا به أن يحول وجهته إلى دروب الرزيلة والفجر حتى وجد نفسه متيما بها.

تمهل كلارك لحظة ثم أجال بنظره نحو تشارلز قائلًا:

- الإهمال يا تشارلز.. الإهمال. وراء الإهمال الوحدة والانعزال، وراء الإهمال الضيق والحزن، وراء الإهمال الاكتئاب والعزلة، وراء الإهمال الارتباك والقلق لعدم تقبل أحدهم لنا، وراء الإهمال الانتحار، ولا مفر من هذا.

وأضاف أيضا:

- نحن كبيوت واهية جدرانها عارية ونوافذها محطمة، يكاد الحظ العثر والحزن والإهمال أن يعصفوا بقلوبنا ويلتهمونا ونسقط، ولكن الاهتمام هو وتدنا وأملنا الوحيد للصمود.

وما إن توقف كلارك عن حديثه، وفي تلك الأثناء جاءت إيمليا ومعها بصمات القاتل والتقرير الجنائي له، والتي كان يعلوا وجهها علامات الضجر. نهضوا جميعًا لها أثناء قولها:

- هناك ما يبدو غريبًا للغاية، البصمات ليست مطابقة لبصمات ديفيد ديجو فيتش!

وهُنا ران صمت وجيز أثناء سماعهم لهذا الكلام، فجميعهم دخلوا في نوبات ذهول إلا كلارك جوزيف، وهنا ارتسمت على شفتيه ابتسامة النصر، فنسيَ القاتل الحقيقي. وما هي إلا ثوان حتى عاد إلى صوابه، وهنا جلست سيلين على كرسيها جامدة حاجبه وجهها بيدها من إثر الصدمة.

فقال تشارلز:

- ريك الوغد هو الفاعل!

والتفّ إلى بيل وعيناه صوبه قائلًا:

- سأكلفك أنت يا بيل ومجموعه من رجال الشرطة بمطاردته وإلقاء القبض عليه.

وهنا أضاف بيل غاضبًا:

- سوف اسحق جمجمته تحت عقب حذائي، وحق الإله! لقد كان سيكلفنا قتل روح بلا ذنب!

وعلى نحو أسرع مما هو متوقع انطلق بيل خارجًا للإمساك به، ولحق به تشارلز خارجًا. وعندئذ توجه كلارك قاصدًا ديفيد، وظل يراقبه في صمت بضع دقائق، ثم قال محاولة إرهابه عن عمد:

- كنت على وشك تصديقك يا ديفيد، فطبيعة الاعترافات لا أصدقها دائماً، ولكني صدقت حديثك، لقد كان ندمك وكذبك يحيطان بهذا الحديث، وكنت بارعًا في تقديم ندمك حتى يتاح لي تصديقك وحرمتني من رؤية كذبك!

وهنا أرتعد قلب ديفيد في هذه اللحظة، وانكمش في حسرة وهبطت العتمة على وجهه مجددا، وبشكلٍ مشوب بالحزن والارتباك رفع ديفيد رأسه وقال بصوت متقطع:

- هل.. هل.. البصمات تتطابق معي؟!

فتبسم كلارك وذعن في داخله قائلا:

- لو استمريت بهذا الحديث حتمًا سيتوقف قلب ديفيد عن النبض.

وسرعان ما قال كلارك:

- ماذا يا ديفيد! ألا تريدني أن أمزح معك قليلًا قبل أن تعود إلى منزلك؟

وهنا لم يتفوه ديفيد بحرفٍ واحد، فلقد جعله كلارك يعاني أشد حيرة.

فواصل كلارك حديثه قائلا:

- حسنًا، إن كنتَ لا تريد أن يطلق سراحك لك هذا.

وتظاهر بأنه سيرحل. فقاطعه ديفيد قبل رحيله وقال:

- توقف! لا ترحل أرجوك! أخبرني الحقيقة!

فأجابه كلارك بشيء من الجدية:

- البصمات لم تتطابق معك يا ديفيد، ووجود تلك السكين في منزلك حتمًا كانت محاولة مدبرة، وشخص ما استغل خلو المنزل ووجودك في يد الشرطة وأراد الإيقاع بك، وهو الراهب ريك، وسرعان ما سينقضي ذلك ونمسك به. ستعود إلى منزلك سالماً.

وهُنا تساقطت دموع ديفيد مع دخول سيلين التي استطاعت رؤية بدينًا بالغا من العمر يقفز في زنزانته وينطلق جيئة وذهابًا من السعادة التي تغمره وكأنه فتى في العشرين من عمره، وأضاف ديفيد قائلا:

- أشكرك يا سيد كلارك، أشكرك.. أقسم لك سأغير حياتي بأكملها.

فقال كلارك:

- لا ريب في أنك ستفعل هذا يا ديفيد.

ثم خرج كلارك ولحقت به سيلين، وسرعان ما قالت:

- سيد كلارك، عذرا!

وبشيء من الثقل التفَّ إليها كلارك ليعلم ماذا تريد وأرهف السمع، فقالت سيلين:

- آسفة، لقد كنت ساذجة بتسرعي، ولكن لم يكن هناك شيء في القضية يلفت الانتباه أو يثير الجزع!

فأجابها كلارك بعزم:

- لا عليك يا سيلين، فالتردد الذي استحوذ عليَّ فقط هو ما جعلنا نصل إلى حل هذا اللغز، فأنا كنت معكم كذلك مرجحا كفة ديفيد ديجو فيش بأنه القاتل، حتى صباح هذا اليوم، ظنا منا بأنه مجرد مخمور قذر ويفعل أي شيء من أجل شهوته حتى ولو كان القتل، ولكن جميعنا كُنا على خطأ.

وبعد انقضاء حديثهم دخل عليهم تشارلز في حالة من البغض والاشمئزاز قائلًا:

- لتوي أنهيت مكالمةٌ مع بيل وأخبرني بأن ريك ليس له أي أثر في الجوار، لقد فر هاربا ذاك الوغد.

وهنا تعكر صفو الجميع وعلى رأسهم كلارك، فقال كلارك غاضبا:

- اللعنة عليه

وصمت قليلا ليستعيد هدوءه ويُرتب أفكاره المبعثرة، ثم واصل حديثه وقال:

- أخبر بيل بأن طرقات هذه القرية بعيدة عن المدينة للغاية، ولو فرّ هاربًا على قدميه هذا الوغد لن يصل إلى المدينة في غضون ساعات قليله حتمًا سيحل عليه الظلام، وسيتوقف، لا ريب في ذلك.

فقالت إيمليا تأكيدًا على ما قاله كلارك:

- نعم، أنت على صواب يا سيد كلارك لو كان سيرا على الأقدام سنمسك به حتما!

وبلهجة هادئة قليًلا منغمسة بالقلق وشيء من الحزن قالت:

- وإن لم يكن فيستولّانا الرب في المدينة ونجد من يستطيع مساعدتنا والإدلاء به، ولكن لن نسبق الأحداث الآن.

فقال تشارلز:

- سأعاود الاتصال ببيل وأخبره بهذا الأمر، وسأقوم بإرسال المزيد من رجال الشرطة على وجه السرعة ليحيطوا بمداخل ومخارج الطرقات المؤدية إلى المدينة وأنا على رأسهم، وإن كان على قدميه سنحاوطه ونمسك به حتما.

لم توجَه خارجًا بشكل أسرع. كان الانزعاج يملأ وجه كلارك، فالمتاعب تحاوطه من جميع الاتجاهات ويريد أن تنفض أوصال تلك القضية البائسة. حاولت إيمليا أن تهدئ من روعه لتطرح عليه سؤالا تجعله يتنفس الصعداء قليلا:

- لم تخبرني يا سيد كلارك عما دار بينك أنت وديفيد بالداخل!

فأجابها كلارك قائلًا:

- لقد حدثني يا إيمليا عن كل شيء، وعن الشرك الذي أوقعه به جميع مَن حوله حتى أصابه الضجر وصار غلامًا شرسًا وحدثني أيضًا عن خرابٍ وعارٍ أمسى بهما، ولكن ما يهم الآن أنه أضحى بندمٍ وحزن هو على ما فعله، وأسرَّ إلي بعزمه على أنه سيعيد مراجعة نفسه مجدداً ويصبح رجلا صالحًا بعد خروجه من هنا.

ومع مرور الوقت تشاركت معهم سيلين الحديث، فجميعهم يريدون تجنب ما يحدث خارجًا، فلا أحد منهم يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث وهل سيمسكون بهذا الوغد أم لا.

مِن ثمَّ اعتصموا فترة من الزمن عن الحديث، وانقضى الكثير من الوقت يتأملون سقف مخفر الشرطة، حتى تلقَّت سيلين اتصالًا هاتفيًا من تشارلز ليخبرها بأنهم أمسكوا بريك وحاول الفرار والمقاومة ولكن في النهاية استطاعوا النيل منه وهم قادمون به. كان كلارك وإيمليا ينظران إلى بعضهما البعض، فهما يعلمان أن تشارلز على الهاتف معها ولم تخبرهم سيلين إلى الآن، كان الذعر والارتباك على وجهيهما ويكتمان أنفاسهما، إلى أن أغلقت سيلين الهاتف لتخبرهما، وهنا أطاحت السعادة بالجميع وانبعثت فيهم الروح من جديد وعاودوا الانتظار مرة أخرى.

وبعد عدة ساعات، كان الظلام قد حل قليلًا جاءوا بريك وقد كُسيَ بالوحل ويقطر الدماء من فمه، فحينما قاوم رجال الشرطة وحاول الفرار منهم انهالوا عليه بالضرب المبرح، وعندما رأوه رجال الصحافة التفوا حوله، فلقد أدلت إيمليا بتصريحاتها هذا اليوم بموافقة من كلارك بأن ديفيد ليس القاتل وريك هو الفاعل وكانوا في انتظار قدومه.

بدأوا بطرح الأسئلة عليه، لكن لم ينالوا ردًا لائقًا، فلقد سخر منهم وسبَّهم بالكلمات وبصق في وجوههم. تصرف مهين لا يخرج سوى من قاتل. وفي غضون ذلك دفعه بيل إلى الداخل قائلا:

- أيها الوغد، لو بيدي لاقتلعت قلبك من جسدك ودهسته بحذائي!

فقال ريك ساخرا:

- ولَم لم تفعل هذا أيها الأحمق إلى الآن؟

وهنا كبح كلارك جماح غضبه بأعجوبة ثمينة، وأضافت سيلين قائلة:

- كنت أتمنى لو أنك فررت عندما تداعيت البكاء وأخبرناك بالرحيل!

فأجابها ريك بسخط:

- وأنا أتمنى لو تصمتي قليلا أيتها العاهرة وتكفي عن الثرثرة!

ومن هنا، وعندئذ، اتَّسع منخار كلارك وأنشأ صدره يعلو ويهبط، فردود ريك أصابته بالذعر، ثم رفع يده وصفع ريك على وجهه وكأنها صاعقة ساقطة من السماء وكانت بالقدر الكافي لتطرحه أرضًا وتُفقده وعيه. وبعنف قال كلارك:

- خذوه من أمامي وأيقظوه لأستجوبه.

ليقاطعه تشارلز قائلا:

- لا توجد حاجة لاستجوابه يا كلارك:

فاستأنف كلارك حديثه وقال:

- أرجوك يا تشارلز، لب مطلبي هذا ولا تعترض، فأنا بحاجه لسماعه أيضا.

وعندئذ قال تشارلز:

- حسناء لك هذا، وسنكون معك بالداخل أيضًا.

وفي أثناء ذلك جلس كلارك على كرسيه يضرب بيده الطاولة حتى يُأذن له الدخول إلى ريك. ولم يتبادل أية كلمة مع أحد الجالسين، ولم يجل طرف عينه إلى أيَّ منهم، فقط ينظر إلى أسفل قدميه وينتظر. وهنا خرج أحد رجال الشرطة ليقول:

- لقد جهزناه للاستجواب بالداخل يا سيد تشارلز:

ولم تنقضٍ ثوانٍ من سماع كلارك هذا الحديث ونهض مسرعًا إليه ليلحقه تشارلز والبقيُّة، وبدون مقدمات -فلقد طفح الكيل وأفاض بكلارك- قال:

- هيا أيها الوغد أخبرني لأي غرض قتلتها؟ هل لمثل ما أخبرتك به بأنها تشوب مسيرتك؟

فأجابه ريك قائلا:

- لن تصدقني بأي حال..

فقال كلارك:

- ولماذا أصدقك؟ فالحديث الذي تتفوه به فاسد بالنسبة للأوساخ والأقذار التي تواريها خلف تلك الثياب، فإمارات الآثام لا تزال مندسة بك أنت هنا. لتجيبني فقط أيها الراهب!

فقال ريك وهو مرتد إلى الوراء معتدلا في جلوسه باسترخاء وكأنه في نزهة:

- حسنًا، لن أخبرك، فلتذهب إلى الجحيم...

وبنبرة غاضبه للغاية قال كلارك:

- حتما سأذهب، ولكن بالتأكيد أنت من ستسبقني أولا..

وقلب الطاولة فوق رأس ريك ليطرحه أرضًا مجددا، وهنا شعر تشارلز والبقية بالخوف بعض الشيء، فلم يسمعوا نبرات كلارك وتصرفاته العنيفة تلك من، قبل ليمسكه من ثيابه مجددا ويعاود طرحه أرضًا مرة بعد مرة، حتى بدأ ريك يستنجد بمَن حوله ويتردد صداه، ولكن لم يجرؤ أحدهم أن يتدخل، فلقد كان كلارك يستشيط غضبا استمر هذا الصراع قليلا ثم قال ريك:

- توقف! سأخبرك.. سأخبرك بكل شيء..

واستأنف حديثه قائلا:

- نعم نعم فعلت هذا بها، فلقد كانت بصمة عار على مسيرتي وأردت أن أتخلص منها، أرجوك توقف!

وفي تلك الأثناء، أفلته كلارك بعدما كانت يده متشبثة بعنقه بإحكام، ثم دعا رجال الشرطة لينظموا تلك الفوضى القائمة في تلك الزنزانة. استأنف تشارلز حديثة ضاحكا:

- ما الخطب يا كلارك لم أرك هكذا منذ زمن!

فأجابه كلارك بحدة وضيق مما حدث:

- رجال الدين يا تشارلز.. رجال الدين ألا يوجد من بينهم ولو وغدًا صادقًا؟ ألا يوجد من بينهم من يتعين علينا أن نتبعه؟ ألا يوجد مَن بينهم مَن لا يتوارى بأفعاله وآثامه خلف ذلك الثوب المقدس إكراما للرب؟ أمِن المعقول أن ظاهرهم للرب وباطنهم للشيطان؟ أمن المعقول أن باطنهم لا يشبه ظاهرهم وظاهرهم لا يشبه حديثهم وحديثهم لا يمت لأفعالهم بصِلة! ويطلبون مِنا أن نتبعهم ونحترمهم بكل وقاحة؟

ويتابع حديثه قائلا:

- أعلم أنني لا أسلك طرق الرب، ولكنني لم أقتل، لم أتعمد إيذاء أحد، لم أكن ذا آثام كآثامهم التي اقترفوها

واستأنف حديثه ببغضٍ قائلًا:

- سحقا لهم!

ثم توجه كلارك خارجًا، جلس على كرسيه وأسند مرفقه على الطاولة، وكانت الكآبة قد غلبت عليه، ويده لُطخت بالدماء والوحل من آثار اشتباكه مع ريك. توجهت إليه سيلين وقالت بلهجة أرق من لهجاتها من قبل:

- لا نحب أن نراك هكذا يا سيد كلارك، أرجوك هدِّئ من روعك قليلًا واذهب لتنظف يدك وثيابك!

وأضاف فورمان أيضًا وقال:

- نحن على ثقة بأن لديك أسباب للانزعاج، بل لديك أسباب كثيرة على نحو واضح، ولكن بفضل مجهودك ريك سيحاكَم وديفيد سيطلق سراحه، فلا داعي للانزعاج!

فأجابهم كلارك:

- ليس ثمة شيء البتة يدعو للانزعاج لا تبالوا، سأكون بخير.

وبينما كان كلارك مستغرق في حزنه ويستشعر شيئًا من الضيق، طلب تشارلز من سيلين أن تطلق سراح ديفيد ليعود إلى منزله. كان الصخب والجلبة يشغلان المخفر، فالجميع أصابه الأرق والعناء من الأيام الماضية. مرَّ القليل من الوقت وكان كلارك رُأي النظر من ديفيد واستطاع رؤية دموع البهجة البالغة التي تحدرت على وجنتيه، وحشد العواطف الجيدة التي تعتلج صدره، ولم يتمالك كلارك نفسه عن الابتسام والنهوض ليعانق ديفيد قبل رحيله ويودعه. وإذا بديفيد يقول:

- اقسم لك بروحي الآثمة، سأكون مدينًا لك طوال حياتي يا سيد كلارك!

وهو مازال يذرف دموعه. فقال كلارك:

- سلوكك القادم ما سيثبت ذلك الأمر يا ديفيد، لا تخلف وعدك معي فقط، وكن رجلا صالح، فأفعالك السابقة هي ما ألقى بك إلى الداخل وجعلت منك مجرما بائسًا، فألقِ كلمتك لأفعالك القادمة لكيلا تأتي إلى هنا مجددا!

فقال ديفيد:

- حسنا يا سيد كلارك، فأنت تستحق هذا..

وفي كثير من الوقار انحني ديفيد ديجو فيتش لكلارك جوزيف، ثم رحل والصخب بدأ يتلاشى قليلا.

***

- إنها ليلة شديدة البرودة يا سيد كلارك!

هكذا قالت إيمليا وهي جالسة بجانب كلارك. فقال كلارك:

- أعلم أنها شديدة البرودة أيضًا يا إيمليا ولكن لم يصبني ولو ذرة واحدة منها، فآثار الاشتعال بداخلي تتدفق ولم تكد تتلاشي بعد.

لحظات ثم قطعت إيمليا حديثها، ولم يكن هناك ما يقوله كلارك أيضًا. وبعد لحظات قليلة، انتهى البقية من مهامهم ليجلسوا على الطاولة ويتبادلون أطراف الحديث معا، ضروباً من كلمات اللوم لو لم يطابقوا بصمات تلك السكين، وضروبا لمواساة بعضهم بعض عن العناء الشاق الذي أطاح بهم حتى انفضوا من الحديث، واستعد جميعهم للرحيل. قاطعهم تشارلز قائلا:

جميعنا بحاجة إلى الراحة لا ريب في هذا، ولِذا من حقي أن أدعوكم إلى العشاء الساعة الثامنة من مساء غدٍ، ولن أتقبل أي عذرٍ منكم!

نقل كلارك بصره إلى البقية عند سماعه هذا، ولكن جميعهم وافقوا تشارلز، وبدت في أعينهم الجاهزية لهذا الأمر، ولم يتبق غيره وكأنه ورط بذلك فقال:

- حسنا يا تشارلز... حسنا، لك هذا.

ثم انفضّ أوصال هذا المجلس ورحلوا جميعهم.

كانت الصحافة على علم بما حدث، وتوالت حشودهم على نحو مبالغ فيه إلى المدينة ليشرفوا على إعدام الراهب ريك صباح هذا اليوم، فيما كانت هذه الأحداث تسير بلا رادع وبلا تردد، لم يبال بها أحد من أفراد التحقيق، فلقد فعلوا سابقا ما بوسعهم.

الرابعة عصرا، تعلن موعد استيقاظ المحقق كلارك جوزيف الذي دخل في نوبات كثيرة من النوم. استيقظ كلارك بتعجب من الكم الهائل من رسائل البريد المعلقة والعديد من الاتصالات. كانت من ضمن الرسائل واحدة تخبره بأنه تم تنفيذ حكم الإعدام على ريك صباح هذا اليوم، وأخرى من تشارلز تخبره بتفاصيل العشاء وعنوان هذا المطعم الذي سيستقبلهم جميعًا مساء هذا اليوم.

مر الوقت، ارتدي كلارك ثيابًا أنيقة وفاخرة للغاية لتلك السهرة، وركب سيارته وتوجه نحو هذا المطعم. لقد كان هذا المطعم الأشهر في المدينة، كان يدعى (سكيتش). وصل كلارك في الثامنة وعشر دقائق ظنًا منه أنه تأخر كعادته، ولكن كانت هناك من لم تصل بعد. صافح كلارك الحاضرين وجلسوا يتبادلون أطراف الحديث، وبعد عدة دقائق وأثناء حديثهم قال بيل بيتشو بدهشة:

- أووه!

وكان سرا تلك الدهشة سيلين، أو لم تكن سيلين، أو سيلين أخرى بشكلٍ آخر، الجميع أصابهم الذهول، كانت تنتعل حذاء عالِ الكعب وفستان قصير للغاية يظهر ساقيها المثيرتان وتضع أحمر شفاه محاذة للون ما ترتديه، وشعرها أحمر اللون منسدل على كتفيها، وجميع الجالسين على طاولتهم ينظرون بتمعن إليها وإلى تقدم خطواتها. فقال فورمان بدهشة أيضًا:

- هذه سيلين أليس هذا صحيحا؟!

ولكن لم يجبه أحد. لقد كانوا في حيرة من أمرهم. ساد الصمت واكتفوا فقط مراقبتها وهي تتقدم نحوهم، فأجابه كلارك برباطة جأش:

- نعم، إنها هي...

فقال تشارلز بشيء من الإعجاب:

- يا للهول إن سيلين رائعة للغاية!

وما هي إلا لحظات قليلة وكانت أمامهم.

- مرحبا يا رفاق!

كذا قالت سيلين، واكتفت بالترحيب الشفوي فقط ولم تصافحهم. هنا ظهر تودد فورمان وبيل بيتشو بشكلٍ مفاجئ وخاطبوها بلهجةٍ غير مألوفة ممزوجة بلطف ودهشة. وكانوا جميعًا يريدونها أن تجلس بجوارهم، ولكن لم يكن هناك مقعد شاغر من بين سائر المقاعد سوى بجانب تشارلز، والذي هو أمام كلارك جوزيف مباشرة. وبعد انتهاء هذا الحدث أشار تشارلز إلى النادل ليأتي ويلبي مطلبهم، وسرعان ما أخبروه بما يريدونه. وبدأت الطاولة تُعد.. على رأسها أكواب مليئة بالشراب أمام كلٍ منهم، فبدأوا باحتسائها قبل الطعام، ولكن لم يحتس كلارك هو وسيلين، شرابهما، فقالت إيمليا لكلارك:

- يبدو أنك لا تحتسي الشراب يا سيد كلارك!

فتبسم كلارك وكان على وشك الحديث، ولكن قاطعه بيل بيتشو الذي انفجر بالضحك قائلا:

- ماذا! ماذا! لا يحتسي الشراب!

فضحك كلارك مرة أخرى، واحتجَّ بيل على هذا الحديث ليسرد لهم ما حدث من كلارك في تلك الليلة وما فعله بهذا الرجل الضخم وجميعهم دخلوا في نوبات عنيفة من الضحك

وبعد فترة قصيرة انتهوا جميعًا من الطعام وبدأ كلارك وسيلين باحتساء شرابهما. لقد كانا على تشابه في عدم احتساء شرابهما حتى ينفضًا من طعامهما. فقال كلارك وهو يغمز تشارلز:

- ها هي سيلين يا فورمان لقد مللنا من حديثك عنها أنا وتشارلز. هيا، أخبرها بأنك تريد الزواج منها وتجراً!

فقال تشارلز وهو يسير على نهج كلارك:

- هيا يا فورمان لا تخجل أخبرها!

وفي أثناء ذلك ذُهلت سيلين مما تسمعه، فقال فورمان بخجل:

- لا، لا يا سيلين لا تأبهي لما يقولون إنهم يمزحون إن مانعتِ، وإن لم تمانعي فهم لا يمزحون.

وهنا استبدت بتشارلز نوبة من الضحك جعلته يستلقي في كرسيه بعنفٍ عظيم ليفقد توازنه ويطرح أرضًا، لينفجر كلارك جوزيف وجميعهم بضحك مدو مما حدث. وحين استعاد تشارلز موضعه استغرق في الضحك من جديد قائلًا:

- يا للهول منك يا كلارك يا للهول منك!

لقد كان كلارك ذا مزاج جيد للغاية اليوم، فاغتنموا الفرصة لطرح الأسئلة عليه، وبنظرات ملتهبة بحب الاستطلاع وبكثير من الفضول قالت إيمليا:

- رجل مثلك يا سيد، كلارك جذاب للغاية ومن أشهر رجال البلدة، ولا يوجد به شيء يعيبه، بالأخص أنه مطمع للكثير من الفتيات. لماذا لم يتزوج حتى هذا الوقت؟

وفي لهجة تملق أجاب كلارك:

- حسنا يا إيليا الفتيات أنواع كثيرة للغاية، وضروب شتي، ملايين الفنيات تعني ملايين العقول والأفكار، المختلفة، فلكي أجد أفكارًا تطابق وتترابط معي، سيتطلب هذا وقتا ثمينا للغاية، ولا مانع لدي من الانتظار من أجل الحصول على ما أستحق. وأيضًا الكثير في هذه المدينة يندفع نحو الجسد أو الفتيات المثيرات والملابس المثيرة، أما أنا فلا ألقي لهم بالا وأجتازهم دائما.

وأجال ببصره نحو سيلين ثم قال:

- لا أعدهم في الحسبان فهنّ فتيات حمقاوات ومصنع للحماقة فوق ذلك!

وفي تلك اللحظة بدا الشحوب على سيلين والعتمة قد هبطت على وجهها، وكأنها كانت ترتدي تلك الثياب من أجل أن تنال إعجاب كلارك جوزيف، ولكن حدث ما لم تتوقعه.
واستهل كلارك حديثه قائلا:

- وأنا أيضًا مغمغًا بلعنة بائسة لن تزول يا إيمليا، فدائما يتاح لي ما لا أريده، وما أريده لا يتاح.

وعند انتهاء كلارك من حديثه قال بيل:

- وأنتِ يا سيلين! أعلم أنكِ تزوجتِ سابقًا من أشهر رجال البلدة، ولكن مضي وقت ثمين على هذا الأمر، فلماذا لم تتزوجي مجددًا؟

انتظروا جميعهم الرد من سيلين ولكن لم ينالوا شيئًا، لقد كانت سيلين بعيدة كل البعد عن هذا المجلس بعدما اكتفت من حديث كلارك العثر، وكأنها بالفعل كانت ترتدي تلك الثياب لتنال إعجابه لا أكثر، والذي بدا وكأنه يعلم. فكرر بيل حديثه مجددا وصاح بها هذه المرة ليعديها من جديد، وهنا رفعت سيلين بصرها وبدأت بالعودة بالفعل وقالت:

- الزواج هذا يُعد سجنا عتيقا لفتاةٍ مثلي. لم أتزوج مجددًا خشية من أن أهدم ما سعيت لأجله طوال حياتي، فأنا يا بيل أتيت إلى المدينة بعدما توالت هزائمي على نحوٍ موصول، ولم أشهد طوال الأيام التي عِشتها سابقًا ولو يومًا سعيدًا، لقد كان فؤادي مفعما بالشجاعة حتى استنزفتها الأيام.

وتابعت قائلة:

- لقد كنت ضحية عواطف لم تبادل وعائلة مشتتة ومجتمع بغيض بلا وقار، ولكن كان هناك من يقدم لي أوتادا من الصبر على نحو دائم، ألا وهو أبي. وبعد موته الجميع أقحموا أنفسهم في حياتي اقتحاما امتزج به الكثير من الشكوك وسوء الظن امتزاجا واضحًا، وفي النهاية كنت على صواب، فلا أحد يسدي خدمات بلا مقابل، ولكن رفضت أن أربط نجاحي بجسدي وواصلت السعي. سيلين جوميز، الفتاة المثالية في المراحل الدراسية بأكملها والتي تخرجت تحت وطأة نجاح ليس لها مثيل،

لم تلتحق بالشرطة وظلت طوال ثلاث سنوات تبحث عن عمل. أتدري يا بيل! الفقر دائماً والواسطة لهم يد في ذلك..

وتمهلت قليلًا ثم قالت:

- أمثالي يعطون الرأي القاطع والصواب فيُهمل، وغيري يعطون الرأي الخاطئ فيُعمل به. يقومون بتغيير القضية رأسًا على عقب ليجعلوا صوابي خطأ وبشكلٍ آخر يصبح خطؤهم صوابا عظيما، وهذا بأكمله من أجل التودد لآبائهم ذوي النفوذ والمنزلة الاجتماعية الرفيعة وإسداء الخدمات إليهم.

وبلا مقدمات أضافت أيضًا:

- ونحن الآن في الشرطة ونفعل هذا الأمر، ونجعل من المستحيل ممكناً مقابل الرشوات والهدايا القيمة المتناوبة، وأنتم جميعًا تعلمون ذلك. حتى ولو كنا ضحية لأمور مشابهة سابقا.

استقرت الكلمة في صدر فورمان، فارتدَّ مترنحًا على كرسيه، وتابعت سيلين قائلة:

- ولكن قد مزقني نفاد الصبر كثيراً، وكنت أعلم أنني لو واصلت السعي والبحث طوال مئة عام قادمة لن أصل. وهناك لحظات تأتي وتدفعك بعنف لتحقق فيها غايتك بأي شكلٍ كان، فلقد طفح الكيل من الفقر.

وبعد مناوشات عديدة وبنبرة تفيض بالاسترضاء قُلت في نفسي:

- لا مانع ما دمتُ سأصل في نهاية المطاف إلى ما أريد.

ثم أضافت طاوية ذراعيها:

- وقعت تحت يد واحدٍ من تجار الأجساد الذين يبيعون ويشترون بك وكأنك سلعة رخيصة، ولكن كان من أهم الأشخاص في المدينة وأبرزهم ويأتي قريتنا من حينٍ لآخر، فلقد كان متيمًا بأجساد فتيات القرى وله ميول جنسية لهم بوجهٍ خاص ويسعى لممارسة عهره معهم ويقيتهم ما يريدونه، وكان هناك العديد من الفتيات في القرية يريدون بيع أجسادهن من أجل حفنة من الأموال، فالفقر كان يداعب الجميع ويشعرهم بالضيق.

وهنا اعتدل كلارك في جلسته مسندًا ذقنه إلى إبهاميه مثبتًا نظره على سيلين، لتواصل سيلين وتقول:

- ولو ترك الأمر لكم لما رضيتم لي حلًا آخر غير ذي الحل، جعلته يقع في طريقي بأساليب مدبرة ظنًا منه بأنه هو من أتى بأساليبه التقليدية البحتة، ولكن أنا من جعلته يأتي. جعلت مني فتاة صعبة المراس أولًا، ألين تارةً وأحُد تارة، لستُ كغيري من الفتيات في القرية، فلا ريب في أنه كان سيتركني بعد يومين لو قدمت اللين فقط كما يفعل. وفي تلك الأثناء، قدم إليّ كافة الوسائل التي يمتلكها، الأموال والمنازل وغيرها، ولكن كل هذه الأمور مهددة بالرحيل وكان ينقصها الزواج. كبحت جماح الفقر وأغممت عيني عن الأموال وبادرت بالرفض مرة تلو الأخرى تلو الأخرى، وأنا في أمسّ الحاجة لها، حتى فاض به الكيل، وللحظة كنت سأعلن استسلامي له ظنًا منه بأنه سيرحل إلى الأبد ولن أصل إلى مرادي، ولكن لحسن حظي سبقني بعرضٍ للزواج، وهنا ولأول مرة أحظى بإمكانية ربحٍ مع الحياة، ووافقت وتزوجته.

مِن ثمَّ استأنفت حديثها قائلة:

- نحن نَحْزن للحب وبالحب، ونسعد به أيضًا، ونُقتل للحب وبالحب، ونحيا به أيضًا. ولكنني لم أقع في غرامه إطلاقًا، لقد كان رجلًا بغيضًا للغاية، كنت لا أطيق أن أراه من حولي، ولا أطيق أن تقع عيني عليه، فمجرد رؤيته تثير نقمتي على نفسي، ولكن تحملته حتى أتاح لي فرصة الانضمام إلى قوات الشرطة والعمل تحت سلطة القانون، وحققت نجاحات كثيرة في القضايا التي توليتها، وسعيت إلى الأفضل، حاول جاهدًا الإنجاب مني، ولكن لم أطق هذا الأمر، لأنني كنت أعلم بأن عروشه وثرواته واهية، خاصةً أنه كان يقامر على العديد من منازله، ولكن لم يهمني الأمر، فأنا استطعت شراء منزلٍ خاصٍ بي، وحظيت بوظيفة سعيت كثيراً لأجلها. ومع مرور الوقت، حدث ما توقعته، أصبح مدينًا لرجالٍ أكبر مقامًا منه في المدينة ونفوذًا وسلطة سامية في البلدة، ولم يستطع إعادة أموالهم، فقاموا بإلقائه في السجن، لم يكن مهيَّأً لهذا الأمر وهذا التحول، فأدى به ذلك إلى موته في زنزانته بعد عدة أيام. وهنا تنفست الصعداء وكأنني كنت معه في الجحيم.

ثم نظرت إلى بيل وقالت:

- رفاهية الشخص في العلاقة لا ترتبط بما يقدمه الطرف الآخر من أموال وسيارات فاخرة وهدايا قيمة، بل ما يقدمه من ودٍّ ولين وأمان، وهذه الأشياء الصغيرة أكثر قيمة من السيارات والمنازل.

وتابعت حديثها قائلة:

- فبرغم منازله وسياراته، لم ينل إعجابي قط، لأنني لم أشعر بالود معه، ولم يهدِني الأمان!

ثم أرخت ذراعيها وأجالت بنظرها نحوهم وقالت:

- أنا هنا وأمامكم الآن، لأنني أحب عملي وأهوي النجاح أكثر من أي شيء، ولن يردعني عن التوقف سوى الموت فقط.

كان تشارلز يتابع بإصغاء حتى جاء دوره من فورمان الذي قال:

- أنت أيضًا لم تتزوج بعد وفاة زوجتك يا تشارلز! وبرغم الإحترام الذي يقتضيه مركزك وبرغم أنك سهل المراس للغاية ومرح، فتخميناتي ويقيني يقولانِ لي بأنك من توصد أبواب قلبك نحوهم، هل أنا على صواب؟

وبارتياحٍ بالغ أجابه تشارلز قائلًا:

- نعم يا فورمان، على نحو لا شعوري أجد نفسي متعلقًا بها أكثر مما ينبغي لفتاة رحلت عن عالمنا، وكأن طيفها يحوم حولي دائمًا ويسكن في بقاع قلبي الذي قُدس بحبها، لا أستطيع أن أرى غير وجهها أمامي، حاولت كثيراً رجاة أن أقنع نفسي بأنني في ميسوري أن أكف عن تذكرها، ولكن لم أنجح من قبل في ذلك.

وفي صوت واهن قال:

- دعني أرى فتاةً تراني دائماً بقلبٍ بهيج ورؤيا مشرقة تتحمل نوبات غضبي وضعفي وتجيد التسامح والغفران وتتجاوز، دعني أرى فتاةً تُشعرني بأنني الأفضل دائماً ولو كنت الأسوأ على وجه الأرض، وتساعدني في الركض نحو أحلامي وتتحدى معي رياح الليالي القارسة، دعني أتعثر بفتاةٍ لينة لا تهوي الخصام وتتفاهم في الخلاف بلا عناء وتتفاخر بي أمام الجميع، وعندئذ أستطيع أن أقول سأدعها ترحل من ذاكرتي.

ويستأنف حديثه قائلًا:

- كان يعز عليَّ يا فورمان أن أتزوج تقديرًا واحترامًا للمودة والحب الذي جمعنا سابقًا، لقد أفعمت ذهني وقلبي بأشياء لن أستطيع تفسيرها على نحوٍ وافٍ، فتعاظم تعلقي وحبي لها حتى بعد رحيلها.

وهنا طرح بيل على تشارلز سؤالًا قائلًا:

- أرى أن ذكرى الوفاة بعيده يا تشارلز، ومضت سنوات عديدة بعدها، فكيف تعاملتَ مع ثرثرة الأشخاص وأحاديثهم التي لا تنتهي؟

فأجابه تشارلز برباطة جأش وقال:

- إذا كنتَ تأمَل ألا يتدخل الآخرين بشؤونك فابدأ بنفسك أولًا..

وتابع:

- بنحوٍ عازم وراسخ يا بيل أحطتهم علمًا بذلك، ووطنت النية للابتعاد عنهم جميعًا بلا عودة، ومضيت بتبجحي اللامبالي، فالإصغاء لما يتفوهون به لا يولِّد سوى الخزي والعار..

فقال كلارك:

- أنت على صواب يا تشارلز، لتشقّ طريقك إلى الأمام امضِ بلا آذان، ولا تكترث، فلا يصل إلى النجاح سوى من يعرف كيف يتجاهل الناس تجاهلًا تامًا.

وبعد مناقشات ومناوشات كثيرة اشتركوا بها، سرعان ما انقضى الوقت رويدًا رويدًا، وقاموا جميعهم من مقاعدهم بهدوء استعدادًا للانصراف. قاطعهم تشارلز قائلا:

- معذرةً منكم، للتنويه فقط.. الآن أستطيع أن أجيز لنفسي أن أقول أنكم أصبحتم عائلتي، الآن.

- بالتأكيد يا تشارلز، بالتأكيد..

كذلك قال كلارك. ثم قاموا جميعهم بتكرار ما قاله كلارك، فتبسّم تشارلز وران على فؤاده شعور بالطمأنينة أنه ومنذ أمدٍ بعيد لم يكن له عائلة، واستطاع تكوين عائلة مجددًا. وعندئذ توجهوا نحو المرأب لأخذ سياراتهم والرحيل، وقبل المغادرة بلحظات أجالت سيلين بنظرها نحو كلارك ومضت نحوه، والذي كان بداخل سيارته يخرج عقب سيجار لإشعاله قبل المغادرة، وقالت:

- سنكون على اتصال دائم يا سيد كلارك؟

فأمعن كلارك النظر إليها من أعلى جسدها إلى أسفل، وبات يحدق بتمعن شديد وعين ثاقبة رافعًا حاجباه، ثم ثبت نظره بنحو مبالغ بعينيها وظل مسرفًا في العبوس والصمت قليلًا، وكأنه قاصدًا مداعبتها، ثم قال:

- لقد هبطت العتمة بعيني داخلًا يا سيلين، ولم يكن في ميسوري قول الحق آنذاك، تبدين مثيرة للغاية!

وبشكلٍ ودِّي متبسمًا قال كلارك مجيبًا عن سؤالها:

- بالتأكيد يا سيلين بالتأكيد..

ثم انطلق بسيارته وغادر على الفور، وترك سيلين مبتسمةً تارةً وحائرة تارة أخرى بسبب تلك الكلمات التى تفوه بها قبل رحيله. وباتت تردد داخلها قائلة:

- حتمًا ستتاح لنا الفرصة مجددًا، بكل تأكيد.

***

دنا الليل بخطوات سريعة، وفي صباح اليوم التالي يُكشر الطقس عن أنيابه، الهواء أصبح أشد برودة، كان الجو غائمًا والبرد لاذعًا. استيقظ كلارك في تمام العاشرة صباحًا، وكأنه لم يرهقه السهر، توجه إلى غسل وجهه وتمشيط شعره،

وتناول بعض اللقيمات الخفيفة على الإفطار، ولم يقض الكثير من الوقت لفعل هذا الأمر. كانت ألحان Carl Orff تملأ المنزل، تحديدًا (Carmina Burana)

كان كلارك بحال جيدة للغاية، يتوق بالاسترضاء، ولكن لم يطل هذا الأمر كثيراً، فسرعان ما سمع حدوث جلبة بالخارج، وأنشأ يصغي إليها، وبدا له أنه من الممكن أن يكون قد وقع شجار بالخارج، فتوجه نحو نافذة غرفته وقام بفتحها، وسرعان ما ضغط إحدى يديه على الأخرى من شدة برودة الطقس، ثم أجال بنظره يمينًا ويسارًا حتى وقعت عيناه عليهم، كانوا مجموعة من الفتيات تدفعهم الرياح من الخلف، يروحون ويجيئون معًا وينشدون أغاني مرحة على نحوٍ موصول، ويتجولون أمام منزل كلارك!

قد يبدو هذا الأمر غير مألوفٍ عادةً ومتناقض بعض الشيء بالنسبة لتساقط الثلوج وشدة برودة الطقس، وأي شخص غير كلارك كان سينعتهم بالجنون لا محالة من الوهلة الأولى، ولكن كلارك لم يكن متفاجئًا، فقد اعتاد على غير المألوف دائمًا، وكان أجَلَّ وأعظم مما يحدث الآن، فلم يلقي لهم بالًا.

وما هي إلا فترة يسيرة حتى تبسم كلارك وأغلق نافذته، وبرغم أنه كان يرتدي معطفًا ثقيلًا لكن لم يمنع البرد من الوصول إلى أنحاء جسده، فأعدّ شرابًا ساخنًا، ثم توجه بالقرب من المدفئة جالسًا على كرسيه ليستشعر بعض الدفء، وتأهَّب لقراءة الجريدة.

لقد كانت الجريدة تتضمن العديد من الأخبار الروتينية التي بدأ بتجاوزها، حتى وقعت عيناه على الخبر التالي الذي أورثه انزعاجًا شديدًا، وقد كان: "فتاة قامت بالانتحار وتركت رسالة تتضمن الأسباب الرئيسية لفعل ذلك الأمر، ألا وهي اللامبالاة التي يمارسها الجميع نحوها، وبأنها لم تجنِ منذ ولادتها سوى سوء المعاملة والتقدير، وتعشمها بالأشخاص الذين لم يولِّدوا لها سوى الخيبات والأسى، فكان خليقًا بها أن تفر من هذا العالم السوداوي وترحل إلى عدالة السماء الكريمة".

غار في فؤاد كلارك شيءٌ من الحزن، وبشيء من الحسرة قال:

- في هذا العالم المضطرب ذي الألف وجه، جدير بك أن تُقدس ذاتك ونفسك تقديرًا لا ينفك، فلا شيء صادق سواهما، ولا تنتظر شيئًا من أحد، فلن تجني سوى الخزي والعار لو صدقت بأن هناك من يهتم لأمرك، فاصنع لنفسك معروفًا ولا تبالِ بأحد غيرك.

وفي تلك اللحظات، قُرع جرس الباب عدة مرات متتالية، ثم انقطع. وسرعان ما نهض كلارك ليعلم من القادم، وقام بفتح باب المنزل، ولكن كانت المفاجأة بأنه لم يجد أحدًا بالخارج! فعقد العزم ليوصده ظنًا منه أنه طفل ويمزح معه، ولكن أجال بنظره نحو أسفل وفي صوت تملأه الحيرة قال: ما هذا؟!

لقد كان صندوقًا متوسط الحجم، أسود اللون، لم يكن مألوفًا لكلارك، ورُسمت عليه بعض النقوش الصغيرة التي لم يرَ ها سابقًا، وكأنه شيء من صنع الشيطان! فبات هناك ما يشغل بال كلارك الآن، فمضى إلى الخارج ابتغاء الاستطلاع عن صاحب هذا الصندوق، وشرع يبحث حوله عن أي شيء غير مألوف، ولكن العواصف قد أخلت الشوارع من المارة، ربما هناك القليل فقط، وظنونه بأن طفلًا يعبث معه باتت تتلاشى. مِن ثمَّ دار في باله أنه ربما لص ويرتب لأمرٍ ما بتلك الحيلة، وخروجه من المنزل سمح للص بالدخول! وهنا استدار كلارك وعاد إلى منزله على وجه السرعة، ثم أجال كلارك بصره وبات يفتش في أرجاء المنزل بقلق، ولم يلقِ بالًا للصندوق.

تابع كلارك البحث وواصل سيره إلى الطابق العلوي بنظرات مذعورة وبحرص شديد، وأنشأ فؤاده يخفق خفقانًا شديدًا، وقد تحدرت على وجهه إمارات الخوف بعض الشيء، وبات يتقدم بخطواته على حذر وبخفة، ولكن أثاث المنزل كان كما هو، ولم يكن هنالك أي أثر لشيء غير مألوف يوافق على وجود غير كلارك في المنزل.

وبينما كان كلارك قد اتخذ سبيله نحو الصندوق ليعلم ما بداخله ويوصد باب منزله، استطاع رؤية ظل شخص مختبئ بجوار الشرفة، ولكن لن يستطيع القفز والهروب، فبناية كلارك للمنزل كانت غريبة بعض الشيء ومُحصنة، وسيضطر هذا اللص

للخروج من باب المنزل فقط. فتظاهر كلارك بعدم رؤيته، وأدار ظهره، وبخطًى حريصة للغاية، بدأ بالسير، وكان على جاهزية لاعتداء اللص عليه بأي لحظة حتى هبط نحو الأسفل، ولكن اللص كان خائفًا من مواجهة كلارك، ربما!

وسرعان ما كان كلارك بمفرده في الطابق الأسفل، أخرج هاتفه ليلتمس النجدة، وقام بالاتصال بتشارلز مرات عديدة، لكن لم يجِبه، فقام بالاتصال بسيلين التي أجابت بشكلٍ أسرع، فلم يبالِ كلارك بأية مقدمات لها، وبصوتٍ خافت قال:

- ثمة شخصٌ ما في المنزل يريد قتلي، وأقوم بالاتصال بتشارلز ولا يجيبني، احضري أفراد الشرطة وامضوا إليّ بشكلٍ أسرع ولا تتأخري، أنا أعتمد عليكِ.. ثم أغلق هاتفه.

كان من حظ كلارك العثر أن سلاحه لم يكن بحوزته في المنزل، ودائمًا ما كان يتركه بداخل سيارته، وبات يردد بداخله: سيَفِر هربًا هذا الوغد لو توجهت نحو سيارتي، ولا أدري أي معجزة ستحدث لو واجهته وكان بحوزته سلاح ناري وأنا لا أمتلك ولم يقتلني، اللعنة على الحظ العثر!

مر وقتٌ ليس بهيّن على كلارك، ولم يأتِ رجال الشرطة، ووفقًا لهذا التأخير استطاع كلارك أن يكبح جماح خوفه ويستعيد رباطة جأشه ويخلق حماسة بالغة بداخله، ويقرر مواجهة هذا اللص بمفرده، فلا يوجد حلٌ آخر، فلو فاض الكيل باللص سيأتي إلى كلارك وسيفرغ خزانته بأكملها بأنحاء جسده، وكان كلارك يريد الإمساك به ليعلم السر الدفين وراء قدومه، فاستطاع أن يدبر خطةً جيده للغاية ويعبث معه قليلًا هو الآخر.

قام كلارك بإطفاء أنوار المنزل، وقام بفتح الباب وأوصاده، وتظاهر بالخروج، ثم اختبأ. حبس كلارك أنفاسه وبات يترقَّب قدومه، وبرغبةٍ مُلحة من اللص للهروب انطلق بأقصى سرعته نحو باب المنزل، ليقوم كلارك بتشغيل أنوار المنزل في غفلةٍ من اللص، وبخطى سريعة يعترضه ويقفز فوقه، وينهال بقبضته عليه، ولم يستطع

كلارك أن يرى بحوزته أي شيء، وكأنه ظل يدبر خطة لفريسة تسهل أن ينقض عليها بلا خطط!

كان هذا اللص متلفعًا بشيء يواري وجهه، ولا يظهر سوى عينيه، وبينما كان كلارك يريد نزعها ليراه بوضوح ظل هذا اللص يقاوم. وفي تلك اللحظة المشؤومة، قامت سيلين بالاتصال بكلارك، ليقم كلارك بإراحة قبضتيه قليلًا ويجيبها، ولم يكد يتفوه بكلمة واحدة ليجد رصاصة تحتضن كتفه، والتى استطاعت سيلين سماعها، وسرعان ما استرد هذا اللص أنفاسه وفرَّ هاربًا على وجه السرعة، ليترك كلارك مطروحًا أرضًا عيناه صوب هذا الصندوق ولا يستطيع النهوض وملاحقته.

وما هي إلا دقيقتان وأمسى اللص خارجًا، وكان رجال الشرطة أمام منزل كلارك.

بعاطفة سرمدية وبشيء من الحزن، هرعت سيلين نحو كلارك وأخبرتهم بأن يحضروا الإسعاف على الفور، ثم قامت بنزع شالها وأمسكت برأس كلارك ووضعته في موضع الإصابة، وقامت بالضغط عليه محاولة أن توقف الدماء قليلًا.

وبنظرات ترشح بالأسى البليغ، كانت تنظر إليه وتنتظر قدوم رجال الإسعاف، بينما واصل رجال الشرطة البحث هنا وهناك، ولكن دون جدوى أو نفع. وبعد دقائق قليلة، جاءت سيارة الإسعاف ولم تطل، وكان بها رجلان فقط، وبرأي سيلين لم يكونوا بالقدر الكافي لحمل كلارك، فأشارت إلى بعض رجال الشرطة ليعاونوا رجال الإسعاف ويضعوا كلارك على عربة صغيرة تستوي في السيارة، ويتمدد فوقها ويأخذ نصيبه من الراحة حتى يذهب إلى المشفى، وفيما هم يذهبون قال كلارك:

- الصندوق يا سيلين.. الصندوق!

فلبَّت سيلين مطلبه على الفور وأحضرته معها، وواصلت السيارة سبيلها نحو المشفى. وسرعان ما وصلوا ليتلقى كلارك اتصالًا هاتفيًا، ولكن لم يستطع الرد، فقد كان بداخل غرفة العمليات لينتزعوا الرصاصة من كتفه، وكان هاتفه بحوزة سيلين،

فأجابت سيلين لتعلم من صاحب هذا الاتصال لتجده تشارلز، فأخبرته بما حدث على الفور وبأن كلارك أصيب بطلق ناري، وبصيحات ذعر أخبرها تشارلز بأنه خارج المدينة الآن وهاتفه لم يكن معه، ولكنه سيأتي في أقرب وقت لرؤيته.

وعلى الجانب الآخر، أوسع الأطباء خطاهم في السير عندما علموا بأن المصاب هو كلارك جوزيف، وبدأ الوقت يمر، وظلت سيلين تتساءل وتتأمل في هذا الصندوق الصغير، حتى خطر ببالها أن تُحضر بيل والرفاق ليروا كلارك ويبقوا بجانبه.

كانت صيحات كلارك تدوي المشفى باكمله من شدة ألمه،يصمت قليلًا ثم يواصل، وما هي إلا فترة يسيرة ليخرج الطبيب ويخبر سيلين بأنهم قاموا بانتزاع الرصاصة من كتف كلارك، وأن كلارك كان يستشيط غضبًا على نحو غير متوقع البتة، فقاموا بإعطائه القليل من العقاقير المهدئة ليحظى ببعض النوم والسكينة ويخمد نشاطه السلبي بعض الشيء. وواصل أيضًا إخبارها بأن مفعول هذا العقار سيواظب معه من ثلاث إلى خمس ساعات حتى يفيق.

وفي غضون ذلك، جلست سيلين على الأريكة بجوار الباب الخارجي لكلارك، وبجانبها هذا الصندوق. ثم غاصت رأسها على الحائط وكأن التعب ألمَّ بها هي الأخرى، واستغرقت في تفكيرٍ عميق، ليقاطعها طبيبٌ مار بالجوار ويطمئن عليها وإن كانت بحاجه إلى مساعدة، فأجابته سيلين وقالت:

- كل ما في الأمر أنني مرهقه قليلًا أيها الطبيب، وسأكون بخير قريبًا، ولو احتجتُ إلى المساعدة لن أتردد.

فأجابها الطبيب قائلًا:

- حسنًا يا سيدتي.

ثم استأذن بالانصراف. وعندئذ دخلت سيلين في نوبات من التفكير والنظر مجددًا فيما حولها، وإذ بها تشاهد مئات من المرضى والأشخاص غير المألوفين، مجهولي محل الإقامة والهوية، ثيابهم ممزقة ووجوههم شاحبة، وأشخاص مألوفين من بينهم كبار رجال البلدة بثيابٍ أنيقة وفاخرة، وفي شيء من الإنصاف قالت:

- أنا لم أرَ شيئًا عادلًا في الحياة سوى المرض والموت، فهما لا يبحثانِ عن شخص بعينه، ولا يفرقان بين فقيرٍ او غني، ولا يستطيع شخص بمالِه التملُّص منهما، فأمست هنا العدالة تُطبق على الجميع. وبشيء من الحزن قالت:
- ليت كل شيء في حياتنا به عدل كالمرض والموت!

ثم نظرت سيلين بجوارها، كان هناك شابٌ في العشرينات مع صديقته في المقعد يتبادلان أطراف الحديث ببالغ الحزن، لترهف سيلين السمع إلى ما يقولانه، وإذا به يقول لصديقته:

- بالتأكيد أنا قوي لا محال، بثبات أواجه مشاكلي بمفردي، ولا يهم هذا الأمر، ثم أبتسم لهم وأواظب تشبثي المفرط بهذا لأمنعه من الرحيل، وأعاتب ذاك كي لا أفقده، وأهتم بأدق التفاصيل مع الأشخاص كي أحتفظ بمكانتي عندهم، ولا أحد يهتم بي، وكأنني مسخ! أواظب على الاهتمام بأشخاص لست في أولوياتهم، ولكن على الأرجح أنا أخدع نفسي بحُبهم، فهذا سبيلي الوحيد لأنجو بهشاشة قلبي، فأنا دائمًا في الأماكن الباردة وهم بحاجة لدفءٍ من غيري. أواجه خوفي بخوفٍ آخر لأُحدث خللًا، فالطمأنينة ليست سبيلي، فأنا في صراع دائم مع الحياة، وفي المنتصف ما بين الأمل واليأس. تشتد معاناتي وأنا لا أضع آمالًا بأحد، فأكتفي بالتعبير عن حزني بالبكاء بمفردي، أحلم ولا أريد أن أفسد خططي عليّ، وأنا على يقين بأن أحلامي لن تتحقق مطلقًا، ولكن سأنطفئ من فرط اليأس وفقدان الأمل، ولا أريد حدوث ذلك الآن، فأتظاهر بالغباء وأكمل وراء أوهام بائسة...

ويتابع قائلًا:

- أعلم أن سوء الحظ يحاوطني وكأنه حاجز، فلا الحظ يستطيع أن يمضي إليّ، ولا أنا أستطيع الفرار نحوه، فأشعر بالإرهاق من صفعات الحياة، ولا يهم مجددًا، فعليَّ أن أصبح أكثر صلابة من ذي قبل، ودائمًا ما يهبط الليل ويدمس الظلام غرفتي كل يوم، وانا أجيل النظر إلى أعلى، ولا أعلم متى سيتوقف كل ذاك العبث. والآن، دعيني أخبرك ماذا يعنى أن تكون قويًا، يعني أن تصفعك الحياة عدة مرات لتطرحك أرضًا، وفي كل مرة تقول: "لقد سنحت لي الحياة فرصة لأن أغفو قليلًا".. هذا أنا.

كان حديثه يتفطر له القلب، وكان أمرًا محتومًا بعد انتهاء حديثه أن تعانقه صديقته لتهدئ من روعه قليلًا، وتتساءل سيلين وتقول: أيَّة قيمة لهذا الشاب بعد كل ذاك الألم؟ وكيف سيحيا بعد كل التراكمات تلك! وأي قوة يحملها أيضًا ليبتكر لنفسه مبررات عديدة ليواصل الحياة مجددا؟!

ونوبة أخرى تتساءل وتقول: ماذا سيحدث لو استنزف قواه ولم يعد يبرر للأشخاص؟ لتجيب نفسها عن سؤالها: بالتأكيد سيكتشف دائرة الخذلان من الجميع والكثير ممن أجادوا انتزاع الثقة بالنفس من داخله بأفعالهم، الكثير ممن استهانوا بحزنه وسخروا منه عن عمد، الكثير من أحبائه الذين تشبث بهم وأفلتوا يده، الكثير من أحبائه الذين أبحرَ نحوهم وتركوه وغادروا بمحض إرادتهم! ولا شيء يهزم المرء ويحطمه أكثر من أحبائه الذين فعل لأجلهم المستحيل ولم ينل منهم الممكن.

وتستأنف سيلين حديثها وتقول: يا للهول! من غير ريب في هذا الأمر ستسوء حياة هذا الفتي وستصبح أسوأ على المدى البعيد، وجدير بهذه الأشياء أن تبدله لشخصٍ آخر!

وفي أثناء ذلك، كان بيل والرفاق في طريقهم إلى المشفى في تعجل، لتواصل سيلين حديثها وتقول: نحن بحاجةٍ إلى أشخاص حينما يضيق بنا العالم وتشتد المعاناة نجدهم بجوارنا، أشخاص لا ندعي القوة والثبات أمامهم، ولا نتردد في البوح بما في داخلنا لهم. نحن بحاجةٍ إلى أشخاص يتشبَّثون بنا ويدافعون عنَّا في غيابنا، لا يجيدون التلوّن ولا يتلاعبون بالكلمات. نحن بحاجةٍ إلى أشخاص ليّني القول والفعل، لا يهجرون ولا يقسون في الخصام نحن بحاجةٍ إلى أشخاص لا ينقلب ودّهم وأفعالهم، وتكون بدايتهم معنا كنهايتهم. وعلى الرغم من مساوئنا فجميعنا نستحق أشخاصًا كهؤلاء.

وفي ظل ضيق ونفور سيلين كان بيل والرفاق أمام المشفى، وقد شارفا على الوصول، وفي خطى سريعة توجهوا نحوها، وبكثير من الثرثرة البالغة والعديد من الأسئلة التي

تم طرحها على سيلين يخيل إليك أنهم كرجال الصحافة باعتبارهم يجنون أموالهم من كثرة الحديث.

وأريد أن أحيط القارئ علمًا بأن الصحافيين في العالم أكثرهم من النساء، وعلى رأسهم وأوسعهم شهرة: (هيلين توماس، كريستيان أمانبور، أريانا هافنغتون). فالنساء دائماً يستطيعون قول الأشياء القليلة والبسيطة بأكثر عدد من الكلمات، والمماطلة به ليبدوا الأمر كارثيًا وأكبر مما هو عليه. فزوجتك ليست حمقاء ثرثارة، بل تمتلك مواهب فذّة لا تُقدرها سوى الصحافة بشكلٍ عام، فالتمس لها العفو والعذر دائماً لعدم تمكنها من تحقيق رغباتها والالتحاق بهم.

وبالعودة إلى صلب الموضوع، بانطباعات ونظرات ممزوجة بالخوف والرعب، كانوا ينتظرون إجابةً من سيلين، وأن تتفوه ولو بحرفٍ واحدٍ كي تريح فؤادهم قليلًا، والتي كانت تترقب صمتهم، وبعد لحظات يسيرة بدأت بالحديث قائلة:

- لقد تلقيت اتصالًا من كلارك، كان يتحدث بصوتٍ خافت للغاية ليلتمس النجدة ويُخبرني بأن هنالك شخصٌ ما في منزله يريد أن يقتله، وسرعان ما أنهيت المكالمة معه وتوجهت نحو منزله ومعي مجموعه من رجال الشرطة، لأجده مطروحًا أرضًا مصابًا بطلقٍ ناري، وكأننا تأخرنا عن الموعد الذي كان يخطط له كلارك، ولم يقضنا الوصول في الوقت المحدد.

وهنا أصابهم الذعر جميعًا، وكان يؤلمهم سماع تلك الكلمات عن كلارك، وبنحو قلق بدأ بيل بالسير جيئة وذهابًا على مقربة منهم، ويستشعر غضبًا لتلك الفعلة ومما حدث، وأيضًا مَن يجرأ على التلاعب بهم بهذا الشكل، كان هناك نافذة في باب غرفة كلارك، فاستبدَّ ببيل الفضول لرؤية كلارك، فتوجه نحو النافذة ليلقِ نظرةً عليه، ليراه راقدًا في فراشه والصمت يعم بالداخل، وما هي إلا لحظة لتنهض إيمليا وفورمان على أقدامهما بعدما كانا استوُ على المقعد جلوسًا ليلقوا نظرة على كلارك أيضًا، ثم قال بيل:

- سأُحضر شيئًا نأكله ونشربه في خلال انتظارنا.

بعدما استحوذ عليه التفكير بأن سيلين والرفاق حتمًا لم يتناولوا الطعام اليوم، وبدت سيلين مهلكة العافية مما حدث. في تلك الأثناء كان الجو مفعمًا بالقلق، ليس من إصابة كلارك بشكلٍ خاص، ولكن مما هو قادم إليهم، وجميعهم أطلقوا العنان لحزنهم واعتصموا بالصمت، وبدأ الوقت ينفد، وما هي إلا ساعات قليله ليطمئنوا على كلارك.

كان بيل قد شارف على الوصول بالطعام، والذي اجتاز مقدمة المشفى، وعلى غفلة منه يرتطم برجلٍ قصير يرتدي معطفًا أسود اللون كان خارجًا من المشفى، ويطرحه أرضًا، ليحدق الرجل بعينيه السوداوين في عيني بيل، ويصيح في وجهه بصوتٍ حاد للغاية، ليسارع بيل بالاعتذار والتماس عفوه ومساعدته على النهوض. كان الغم يزداد وطأة في نفس بيل ويستنشق حزنًا ويزفره في اهتياج غريب بداخله، وفي خطى وهِنة وبطيئة توجه نحوهم، وعلى نحو متقطع بالحديث قال:

- تفضلوا، تناولوا طعامكم لتستعيدوا عافيتكم قليلًا!

كانوا جميعًا جائعين، فشرعوا في تناول الطعام بلا مقدمات، وبعد انتهائهم أطالوا الجلوس وقتًا كافيًا حتى استيقظ كلارك، وكانوا لم يفيضوا بكثير من الحديث، وفي لهجةٍ ترشح بالوقار والاحترام قال الطبيب:

- إن السيد كلارك على جاهزية لتلقي الزيارات، وبدا بحالٍ جيدة الآن.

وعندئذ لم يستغرقوا ثوانٍ قليلة للوصول إلى غرفته بعد سماعهم ما قاله الطبيب، وبكلماتٍ بهيجة وبسرورٍ بالغ، بدأوا بمواساة كلارك، وأسبغوا عليه بالمدح. وكان كلارك سعيدًا برؤيتهم جميعًا بجانبه. وفي أثناء ذلك، كانت الرصاصة التي أصيب بها كلارك في إناء على يسار فراشه، والتي استطاعت سيلين رؤيتها وبدا بوضعها هكذا بأن كلارك لم يكن على درايةٍ بها، فأرادت سيلين أن تُكلل مجهود كلارك وتستطلع عن تلك الرصاصة، وبخطى حثيثة توجهت نحوها ووضعتها في حقيبتها ولم تخبر أحدًا عنها. وفي تلك الأثناء، كان هناك ما يعكر طمأنينة كلارك، فأجال نظره نحو سيلين ثم قال:

- أين الصندوق يا سيلين؟ أحضريه!

فلم يكن غيرهما على علمٍ بهذا الأمر، وكان بيل وفورمان وإيمليا جاهلون تمام الجهل عنه، وفي حالةٍ من القلق يترقبون. عندئذ توجهت سيلين خارجًا وأحضرته، ولم يكن غير كلارك الذي يُولِه اهتمامًا كبيرًا، فاستعاد ملامحه الجادة، ولكن ما منعه من فتحه موضعه الذي ثُبت به في فراشه، فطلب من بيل أن يقوم بفتحه ويعلم ما بداخله، وسرعان ما قام بيل بتلبية طلبه، وأومأ رأسه موافقًا. وفي تلك الأثناء، وجد بداخله رسالة فقط، فقطب حاجبيه يفكر ويقول:

- إكراما للرب، ما هذا!

فلزم جميعهم السكينة والصبر قليلًا، فقام بيل بفتح تلك الرسالة وما هي إلا ثوان معدودة وبات يبرق لها بوهج غريب، فقال كلارك:

- ماذا بها يا بيل؟ تحدث وأخبرنا؟

فأجاب بيل وهو يرتعد، وكأن قشعريرة قاتلة تسير في عروقه، وفي لهجةٍ ليس أحفل منها بالذعر والارتياب وهو ينطق بهذه الكلمات، قال:

- " ناقوس الخطر قد قُرع، فاتلوا صلواتك الأخيرة أولاً أنت ورفاقك، وليباركم الشيطان قبل رحيلكم".

وبشيءٍ من الفزع، اتجهت العيون بأكملها نحو كلارك الذي ثبت عينيه أرضًا، وبدت أفكار مُعذبة تتسلل وتزدحم في ذهنه، فقالت سيلين:

- في هذا الأمر شيء غير طبيعي!
- مربك إلى حدٍ ما!

هكذا قال فورمان. وبشيء من الضيق والنفور قالت إيمليا:

- وكأنها مبعوثة على نحو عدائي!

وكانت تقصد الرسالة، وتابعت قائلة:

- ولكن شغلي الشاغل الآن، مَن يستطيع إعلان التحدي معنا؟!

وكان عسيراً على أفكارهم أن تُحدد مقصد تلك الرسالة، فبسط كلارك يده لبيل ليُسلم له الرسالة، وبات يمعن النظر بها أيضًا ليستنتج أي شيء، ولكن دون جدوى وبعد تفكير مَليّ قال:

- أخشى أن يكون شيء يعرضنا للمتاعب!

فقالت سيلين:

- هذا محتمل جدًا.

ثم أضافت قاصده كلارك وقالت:

- ماذا سنفعل إزاء هذا الأمر؟

فاستهل كلارك كلامه قائلًا:

- الأنسب والأعقل في تلك الظروف أن نتوخّى الحذر جميعنا ونكون على اتصال دائم.

فقالوا جميعًا:

- هذا رأي صائب للغاية.

وعندئذ، ظلوا معًا حتى احلولك الظلام، ثم استعدوا جميعهم للانصراف، وكان شتى تفكيرهم بأنهم وقعوا في المتاعب مجددًا، وفوق هذا لا يعلمون مصدره. استأذنوا كلارك جميعهم وأخبروه بقدومهم غدًا ورحلوا. وظلت سيلين معه وكان القلق والخوف قد أحالا لون وجهها وعكَّره بالشحوب، لتخبر كلارك بأنها ستقضي تلك الليلة معه حتى يسترد الصحة والعافية، وهنا بادر كلارك بالرفض مرات عديدة ولكن لم تأبه لما يقول ولم تصغِ إليه.

وبعد عدة دقائق، دخلت ممرضة المشفى وبيدها طعام كلارك، والذي بدا له وكأنه فاسدًا للغاية وسيصيبه الغثيان على الفور لو تناوله كعادة طعام المرضى، ومعها أيضًا كوبين من عصير البرتقال الطازج. وفي تلك الاثناء، لم يكن في ميسور كلارك أن يخبر سيلين بأن تحضر له طعامًا غير ذاك، وظل يحدق في الطعام فقط رغم أنه لم يكن مستريحًا له، وهنا استطاعت سيلين أن تتفهم ما يدور في ذهنه ومقصده من هذا الأمر فقالت بلا مقدمات:

- سأحضر لك طعامًا غيره.

وهنا تبسم كلارك لسيلين بإعجابٍ أبكم خجول، وأزاح الطعام من أمامه، ولكن لم تطل بسمته كثيراً وعادت به مخاوفه بثورات مشتعلة هذه المرة من التساؤلات، وعصف الذعر بوجهه، فقام كلارك بإحناء رأسه لأسفل حسرة على حاله، ففي ميسور المرء الطبيعي أن يحظى بقليل من الراحة وهذا أمرٌ معتاد. ولكن هناك أشخاص ملعونون بأفكارهم على نحوٍ وادع مشغولي الذهن وكثيري التفكير فيما حدث، وفيما يحدث، وفيما سيحدث، وهؤلاء الذين لن تخدمهم أي أعراض ليحظوا ببعضٍ من الراحة ولو ظلوا طوال مَحياهم يحاولوا أن يُقلِعوا عن التفكير وأن يتركوا أفكارهم الحمقاء جانبًا.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة، وبعد بضع دقائق جاءت سيلين ومعها طعامًا شهيًا للغاية، وكان قد استبد بكلارك جوع غير يسير، فاسرعت سيلين واضعة الطعام أمامه، ليبدأ كلارك بالتهامه بنحوٍ سريع للغاية إلى حد غار معه صوت ملفت، واكتفت سيلين بالابتسام فقط. وبعد تناوله الطعام طرحت عليه سيلين سؤالًا لتطمئن على صحته فأجابها كلارك قائلًا:

- نعم، أشعر أنني أفضل من ذي قبل يا سيلين.

وكان جديرًا بملاحظتها أن ترى شيئًا عالقًا أعلى شفتي كلارك، فوضعت يدها في حقيبتها وأخرجت منديلًا وباتت لحظات يسيرة في تردد لتستجمع شجاعتها وتنهض وتتوجه نحو كلارك وتطوق شفتيه التي بدت متسخةً بعض الشيء. وفي أثناء ذلك، ظلت مثبته نظرها بإطراء مريب ورائع في آنٍ واحد في عينيه، حتى إذا سُوِّيَ الأمر تراجعت وجلست على مقعدها كما كانت من ذي قبل. وعندئذ، رفع كلارك كوب العصير إلى فمه ثم وضعه فارغًا ليتمطقه ولقد كان جيد المذاق للغاية ويروقه، ثم دفع سيلين لتتناول كوبها أيضًا، فقالت سيلين:

- حسنا، سأفعل.

واحتسَته بالفعل بأكمله، ولم تنقضِ دقيقه أو دقيقتين وأرهقها السهر والقلق وغلبها النعاس، واستسلمت للنوم، ورقدت على أريكة الاستراحة في زاوية غرفة كلارك،

وكان كلارك أيضًا في أمسِّ الحاجة لينعم ببعضٍ من الراحة، فاستسلم لنومِه هو الآخر. كان الظلام موحشًا حالكًا إلى أبعد مدى خارج المشفى، المطر يهدر بغزارة، والليل قارس البرودة مصاحبًا لرياح عاتية تزأر خارج الأبواب، على نحو عدائي بصيحات تكاد تُسمع، وكان نباح الكلاب الأجشع لا يتوقف ويشتتوا سكون الليل. ومع مرور الوقت، بدأ نور الصباح بالتسلل، التاسعة صباحًا تعلن موعد استيقاظ سيلين، والتي خامرها دهشة غريبة، فهي لم تجد كلارك جوزيف راقدًا في فراشه، والذي قد نهض من فراشه في ساعة مبكرة وتركها نائمة، فأصبحت عاجزة عن ردع خوفها عن التسلل بداخلها، فقامت فزعة وبحالة رهيبة من القلق، أزاحت الستائر المنسدلة على النافذة، وأجالت بنظرها يمينًا ويسارًا لتراه جالسًا بالخارج وبيده مشروبًا يرتشفه، وهكذا اطمئن فؤادها قليلًا.

كان كلارك يريد عزلة قليلًا بمفرده، عسى أن يجد ضالته في هذا الأمر، وخوفًا أيضًا من أن تحدث كارثة، يفكر بتمعن فيما حدث في الأيام الماضية، ومَن له يد في ذلك الأمر. وبعد دقائق معدودة، تابعت سيلين خطواتها نحوه، ومضت تجاهه، ولم يكن في ميسور كلارك رؤيتها، فلقد كان منهمكًا بالتفكير وأفكاره أيضًا في مهب الريح..

- من اليسير أن تصبح محققًا ناجحًا، ولكن من العسير أن تكون كلارك جوزيف!

هكذا قالت سيلين. وفي تلك الأثناء، تمتّع كلارك بتهذيب فطري رفيع ونهض تبجيلا لها من تلقاء ذاته عند سماع صوتها، ثم قال:

- وهذا أفضل لكم.

وتلك كانت إجابة كلارك لما قالته. وتابع حديثه قائلًا:

- الاحتمالات لا تتوافق معي، الأفكار لا تترابط، نحن في الشرطة والتحقيق بشكلٍ خاص، نعلم أن ليس ثمة ما هو أسهل من أن يُدان شخصٌ ليس له ذنبٌ في جريمة ارتُكبت ويهرب الفاعل بهدوء وبلا عناء نتيجة فشل أحدنا، أو بتعمد الفشل والتغافل لنفعٍ عائدٍ لنا، ولكن إلى متى سيظل هذا الأمر؟ ونحن بإمكاننا أن ننهيه لتسود العدالة!

ثم قال في حسرة مجيباً على نفسه:

- على أية حال، أعلم أن ما هو تحت نطاقنا نستطيع التحكم به، ولكن ما هو دون لا يمكننا الشروع بأمره، فالفساد لن ينتهي حتى ينتهي العالم.

واستهل كلارك كلامه قائلًا:

- من العسير أن تكون كلارك يا سيلين، لأنني الاستثناء الوحيد فقط، فالأمور هنا بأكملها بلغت غاية الرداءة..

ثم قال بازدراء:

- حتى الأشخاص كذلك. تريدين ان تنجحي في عملك! واصلي التعاظم وبالغي بنفاقك، وستنتقلين بين مراتب لا مثيل لها وترتقي، تبدلي بالأقنعة، وكوني بألف وجه، احملي خبث العالم أجمع بداخلك والكراهية، وأظهري الحب واللين فقط، فالجميع يميلون لمَن يفعل ذلك.

وإذ بسيلين تطلق ضحكات عديدة، ولم تتماسك، فبدت واثقة من حديث كلارك ومما يقوله، أو فعلت إحدى تلك الأمور سابقًا. ثم تابع وقال:

- لقد أصبحت شخصية بارزة يا سيلين، ليس نتيجة نجاحي في حل القضايا فقط، بل لأنني لم أتورط في إثم النفاق هذا، وشرعت به، وهذه عدالة السماء نحوي.

وأضاف أيضًا:

- أنا أتمتع بجميع خصال الجنس البشري بأكمله وصفاته السيئة قبل الحسنة، ولكن لا أستطيع استخدامها بأكملها، ولو استطعت لما كان حالي كما هو الآن!

ويتابع:

- أحيانًا أكون أنا ذاك الشخص الذي يتفنن في حب الحياة والأشخاص، وأتعامل معهم بسلاسة، ولا أشعر بعبء أحاديثهم ولا أمَل منه، أواصل الركض وراء أهدافي وأحلامي دون كلل، أجد الحياة رائعة والأشخاص رائعين والأسباب عديدة للبقاء، أومن بالحب والوعود، ولا أستهين بالصداقات، لا أمانع من اقتراب أحدهم نحوي، وبإمكاني التفاهم دائمًا، أتناسى وأتغافل عن عمد، ولا أحمل عناء التوقف والتساؤل عن الأمر بالطريقة التي تجعلك تتساءل بدهشةٍ عن السر الدفين وراء ذلك، وكأنني لم أرَ تعثراً قط، وكأنني لم أحمل أثقالًا ولا همومًا قط، وكأن الحياة لم تضق بي ولو لمرة واحدة.

وأحيانًا أخرى أبدو وكأنني مصاب باضطرابات نفسية، أشعر بالهشاشة واليأس ويستدرجني البكاء فاقدًا القدرة عن الركض والمحاولة، أرتعد من اقتراب أحدهم نحوي، أجد الأشخاص غير جديرين بالثقة والحياة ممتلئة بالأقنعة، والناس يجيدون التلاعب بالكلمات، لا أومن بالحب والوعود والصداقات، ولا أتحمل فكرة التغافل وكتمان الضيق، لا أملك القدرة على التجاوز والتفاهم والإصغاء إلى المبررات، وفي خلاف دائم مع الحياة، ولا أجد ولو سببًا واحدًا للبقاء بالطريقة التي تجعلك تتساءل: كيف كان حطامه وخذلانه من الجميع؟!

ثم تابع وقال:

- وكوني على ثقة أيضًا بأنه حينما تدركين أنكِ استطعتِ فهمي، فتأكدي أنكِ على الجانب الآخر من هذا الأمر، ولا تستطيعين فهم ولو مثقال ذرة واحدة مما يدور بداخلي. فأنا أحيانًا كثيرة لا أفهمني، أو أحيانًا قليلة أستطيع فهمي، حينما أبدو قويًا فأنا حينها أضعف بدرجات من الضعف، حينما أبدو سعيدًا فكوني على يقين بأن الحزن يعصف بقلبي.

وبارتياحٍ بالغٍ قال:

- أنا أحيا لأجاري الأحداث فقط وأُشبع فضولي مما يحدث لحين انتهاء أمري.

فضغطت سيلين على يده في محبة، وكانت المرة الأولى التي تفعل بها ذاك الأمر، وحدقت به باهتمام، وقالت بشيءٍ من الثقة:

- سيكون كل شيء على ما يرام.

وفي تلك الأثناء، كانت نظرات سيلين نحوه مفعمة بالحب لا ريب في ذلك، وبنحو قاطع تردد بداخلها وتقول: لا مثيل لكلارك، ولا يشبه غيره، فالمثالية بجانبه لا ترى، وإن بدا معيوبًا ولا يتسم بالكمال.

وعلي نحو متعجل بعدما بادلها كلارك النظر، قامت بإعادة يدها إلى موضعها الأصلي، وقالت في نبرة رزينة متسائلة:

- هل وصلت إلى حلٍ ما لما يحدث؟

فأجبها كلارك قائلا:

- لا أدري وأفكاري تثور ضدي، وكنت سأُحطم رأسي بحجرٍ لعين من كثرة التعقيدات، فلقد تدفقت إلى ذهني جمهرة من الأفكار المحيرة والمشوشة التي لا أستطيع ربط بعضها البعض.

وتابع حديثه قائلًا لها:

- هل هناك ما خطر بباللكِ؟

فقالت:

- أنا شبه واثقة من أن له صلة بريك وإعدامه وخروج ديفيد!

فقال كلارك:

- أنا معك في هذا الأمر، فكل الأسباب واردة بالتأكيد، ولكن على ما يبدو أن التكهن في هذا الأمر لا يجدي نفعًا ولا يوصِلنا إلى شيء!

فقالت: وماذا سنفعل حيال هذا الأمر؟!

فأجاب كلارك وقال:

- ثمة مئات الأشياء التي تشغلني، ولكن في الوقت الراهن شِئنا أم أبينا سننتظر، فنحن لا نعلم علم اليقين مَن يداعبنا بهذا.

ثم تمسك كلارك بمشروبه وهو يسند مرفقه بالطاولة، وبدأ يرتشف منه، وأنشأ ينظر متأملاً حوله، أو بالأحرى متأملاً حدائق المشفى بقدرٍ من الرضى ليستنشق بعمق رائحة أريج الأشجار والزهور تاركًا الهواء البارد يتسرب إلى رئتيه ليريح جسده. ولكن قاطعته مساعدة الطبيب، كانت قادمة لتعلم كيف تمضي رحلة شفائه وتدوّن حالته وبيدها دفتر الملحوظات، وكأن الطبيب كرَّسها لخدمته فقط، وبحياء وتهذيب قالت:

- كيف حالك اليوم يا سيد كلارك؟

فنظر إليها كلارك وهو يزم عينيه فقط واعتصم بالصمت وطال صمته. فقالت بشيء من الإحراج:

- أعتذر لو وجدت هذا أمرًا مزعجًا، فلقد كلفني الطبيب بالاعتناء بك، وأردت تدوين حالتك لعرضها عليه.. آسفة حقا!

بدا هذا الأمر مثيراً للانتباه قليلًا لكلارك، ولكن دار في باله أن صمته قد تسبب لها بإحراجٍ بالغ، وهذا أمرٌ محزن للغاية له، فقال:

- لا داعي للاعتذار، أنا بحالٍ أفضل اليوم. ولكن رقبتي تؤلمني قليلًا، ولا شيء غير ذلك.

فقالت بصوتٍ جاد:

- في الوقت الراهن هذا أمرٌ مألوف، نسبةً لإصابتك تلك، ولكن عليك أن تنّحي قليلًا من نضالك جانبًا، والأجدر بك أن ترقد في فراشك لتحظى بقليلٍ من الراحة.

ليقول كلارك:

- حسناً، سأفعل.

فابتسمت ابتسامة صغيرة، وماهي إلا دقائق معدودة ثم مضت الطبيبة المساعدة وانصرفت. وبنذير شؤم يتلقى كلارك اتصالاً هاتفياً ويخبره بيل بأنه تلقى بلاغاً بوجود حالة قتل في قرية بولو ستيك من جديد، ليسود الشحوب وجه كلارك وتغور عيناه، وكأن الموت يتربص به لينقَض عليه هو الآخر بكل ما تحمله الكلمة من معنى. فنهض عن كرسيه شيئاً فشيئاً، وكان الذعر قد استبد بسيلين وغمرها..

- هل من شيء جديد حدث يا كلارك؟!

هكذا قالت سيلين، فقال كلارك:

- لقد تحققت نبوءاتنا يا سيلين، وها قد حان الوقت لنُهيَّئ أنفسنا لرؤية الأسوأ. لقد كان هذا الاتصال من بيل، يخبرني أن هناك جريمة قتل قد حدثت في قرية بولو ستيك من جديد، وسيخبرني بكافة التفاصيل قريباً.

وفيما كانت هذه الأحداث جارية، طلبت سيلين من كلارك أن يبقى كما طلبت منه الطبيبة، وتؤثِر الذهاب وحدها، ولكن أبى أن يفعل ذلك، وراح يؤكد لها الرفض، وأخبرها بأن تحضر سيارته لحين انتهائه من تبديل ملابسه.

***

يشير عقربا الساعة إلى الواحدة والنصف ظهراً. انطلق كلارك بسيارته نحو القرية. كان وجهه يرتعد من جرّاء الاهتياج بداخله، وسيلين أيضاً، كانت جالسه بحالٍ أسوأ من ذي قبل، وبعد بضع لحظات تلقّى كلارك اتصالاً آخر لتجيب سيلين، ليخبرها بيل بموقع الحادثة. وبدا هذا العنوان قريباً من حالة القتل الأولى التي وقعت في تلك البلدة، ويخبرها بيل أيضاً أنهم شارفوا على الوصول، وسرعان ما أخبرت سيلين كلارك بهذا الأمر. ليقُل في ذعر شديد:

- يا إلهي! أرجوا ألا يكون هو!

وهنا قام كلارك بالانطلاق بأقصى سرعة بسيارته، وبأقصى قدرتها على الإسراع باندفاع مجنون للغاية نحوهم ليدركهم، وبدأت الكآبة بالتسلل إليه، ثم اعتصما بالصمت حتى وصلا. وحدث بالفعل ما كان يخشاه كلارك ولا يريد حدوثه، فموقع الحادثة يتطابق مع منزل ديفيد ديجو فيتش. وفي ذعر شديد أسرع كلارك بالدخول ولم يعترضه أحد من دجال الشرطة، فهم يعلمون بأمره.

كان المنزل مفعماً بالتبغ ورائحته تسود المكان، تماثيل عارية لبعض النساء تزين شقته، زجاجات الخمر الملقاة أرضاً هنا وهناك بأعدادٍ لا حصر لها، ملابس داخليه لنساء بمختلف الأحجام، أشياء تنم عن كل رذيلة ارتكبها ديفيد قبل رحيله. كان بيل وفورمان وبعض من رجال الشرطة ملتفون حول إيمليا يطمأنون عليها، والتي كان رأسها مسنداً على الحائط بعدما غابت عن وعيها على الفور بعد رؤيتها لديفيد وبشاعة قتله. حدق كلارك بها قليلاً ثم دخل الحجرة، ليجد فراشه بأكمله غارقاً بالدماء، وكان هنالك قطعة قماشية ضخمة مغطى بها ديفيد تخفي جسده بأكمله، وسرعان ماقام كلارك بنزعها ليتراجع فزعاً ويغادر الغرفة على الفور.

- بحق الجحيم! مَن يستطيع فعل هذا الأمر؟!

هكذا قال كلارك.

لقد فاق هذا الأمر أي شيء تخيله كلارك من قبل، بل تمنى لوهلة أن يُعدم ديفيد خيراً له من أن يُفعل به ذلك. هكذا ردد بداخله. كانت سيلين توصد سيارة كلارك وتضعها جانباً لتفسح المجال للمارة. فتأخرت بالدخول إلا أنها استطاعت سماع ما قاله كلارك في أثناء دخولها لتقول:

- كيف قُتل؟ دعني أرى!

فقال كلارك:

- حسبك أن تفكري في ذلك الأمر!

قال بيل أيضاً:

- لا داعي لذلك يا سيلين!

فلم تبالِ سيلين بأمرهم ولم تعرهما اهتماماً، ودخلت الغرفة لإرضاء فضولها. وما هي إلا دقيقة واحدة لتطلق صرخةً مدوية من الفزع تذبذبت في المنزل، وراحت تمسك رأسها من هول ماتراه، ليسرع نحوها كلارك ويخرجها. كان الذعر الشديد يسود المنزل، ضروب من التحليلات والآراء العشوائية هنا وهناك، ولم يقل كلارك كلمته بعد في هذا الأمر. لقد كان ديفيد مجرداً من كافة ملابسه، وشُقَّ جسده بطريقةٍ قاسية، وقد تم انتزاع قلبه من جسده، وشوَّه وجهه بالسكين بشكلٍ وحشي، وخزقت عيناه، فلا تكاد ترى ملامح وجهه.

وفي أثناء ذلك، أتى تشارلز وأطل بطلعته، والذي كان يستمتع بعطلته بعيداً عن البلدة، ولم يكن يرتدي الزي الرسمي لرجال الشرطة؛ بل كان يرتدي معطفاً لونه بني داكن وبنطالاً أسود اللون، مطلقاً لحيته، وقد جاء من عطلته نحوهم بشكلٍ مباشر ولم يتوجه إلى منزله بعد. بترحيبات ودية تعامل معهم وتوجه نحو كلارك ليطمئن عليه ثم قال:

- لقد كان خليقًّاً بك أن تحظى بقليلٍ من الراحة حتى لا تسوء حالتك يا كلارك!

وكان تشارلز قد ترك في نفس كلارك أثراً ما إلى حدٍ كافٍ سابقاً باختفائه في الأيام الماضية، فوجه كلارك طرفه إلى تشارلز ومال رأسه قليلاً، وبات يحدق بعينيه مثبتاً نظره نحوه، وأمعن النظر بهما قليلاً ليورثه انزعاجاً شديداً. ثم أجابه قائلاً:

- راحتي لن تأتي حتى تُلّف حبال المشنقة حول عنق هذا القاتل يا تشارلز، حتى وإن لقيت حتفي وأنا أسعى وراء ذاك الأمر. ثم ابتسم بسخرية ومضى بخطواتٍ معدودة بعيداً عنه.

وبعد دقائق، أنشأ كلارك يذرع المنزل جيئة وذهاباً، وما يدور في داخله وهو بأن تشارلز من الممكن أن يكون له يد في ذلك، ويخشى أن يكون ذلك صحيحاً، ولكن كل شيء وارد عند كلارك. وبعد لحظات قليله عوقِب كلارك من شدة إرهاقة، فجلس على كرسيَّ خشبي بجوار باب المنزل مشبكاً يده بعضها البعض، فتلك الأفكار التي تدور بذهنه أضخم من أن يتحملها عقلٌ واحد ففط، وإذ بفيضٍ من الأسئلة ينهال على كلارك دفعة واحدة بعدما جلس، تارةً من رجال الشرطة وتارةً أخرى من محققين تحت الإنشاء، الجميع يسعى لنيل إجابه من كلارك جوزيف، ولكن لم يلقِ كلارك لهم بالاً وظل زائغ العينين شارداً. ولكن كان هنالك شخص واحد فقط تم انتقاء سؤاله بعناية من كلارك، وأخذه على محمل الجد، وكان هذا السؤال مطروحاً من سيلين، وإذا بها تقول:

- بمن تشك يا كلارك؟!

فارتد كلارك إلى الوراء وهو موهون القوى، ثم نظر إليها قائلاً:

- أنتِ رقيقة القلب ياسيلين وستلتمسين عطفه إن أخبرتك.

وبإخلاص وصدق جليين قاطعته سيلين وقالت بطواعية بالغة:

- لقد عقدت العزم على تصديقك تصديقاً كاملاً لا يشوبه أي شكوك، حتى لو أخبرتني بأنني من قتلته سأقتنع بهذا الأمر، فلا داعٍ لمثل هذا الحديث!

فقال كلارك في حسرة:

- أنا لا أقوى على قول مثل هذا، ولكن ما باليد حيلة، لا يوجد بينة واضحة تخرج تشارلز من دائرة الشك يا سيلين، باعتباره كان غائباً طوال تلك الفترة. وسوف أستجوبه في حضوركم عندما يحين الوقت.

وهنا شاع الدم في وجه سيلين عند سماعها هذا الأمر. واستأنف كلارك حديثه بشيء من النباهة والفطنة وقال:

-ولكن لن يكون في ميسورنا أن نفعل ذلك أولاً، فإن لم يكن تشارلز هو القاتل سيسوء الأمر وسنخسر صديقا بكل تأكيد ولكي نتأكد من هذا ستكون هذه الخطوة الثانية التي نقوم بفعلها، وهناك خطوة أولى سنقوم بها أولاً، وتتأكد شكوكنا وتطلعنا على الفاعل، ولكن ما أخبرتك به عن تشارلز سيكون بيننا فقط وما هو دون ذلك سيكون بين الجميع!

فقالت سيلين:

- أقسم بروحي الآثمة وأعاهدك بصدق، لن يعلم أحد بهذا الأمر يا كلارك.

وفي تلك الأثناء، نهض كلارك من كرسيه ليغادر، وأخبرها أنه سيطلعهم على الجديد في تلك القضية مساء هذا اليوم، وحرص على الكتمان فيما يبدو حتى عن سيلين، وأخبرها أنه سيقوم بالاستطلاع عن شيءٍ بمفرده في سرية تامة، فلينتظروه جميعهم، وأكد عليها مجدداً ألا تخبر تشارلز عن شيء في تلك القضية حتى يقوم هو بإخباره، وأن تلتزم بالسرية التامة. ومِن ثمَّ رحل. ولكن لم تسلم سيلين من تشارلز والذي بدا راغباً في معرفة ما يحدث وما تعلمه بعدما استطاع رؤيتها واقفة مع كلارك قبل رحيله. وما هي إلا برهة يسيرو وتوجه نحوها مباشرةً وقال:

- مالجديد في تلك القضية يا سيلين؟

وفي غمرة من الذهول الشديد حدقت سيلين بتشارلز بسيماء من الدهشة، وكان جوابها نفياً بعدم علمها بشيء، وقالت في تملص:

- لا شيء على الإطلاق.

فسألها تشارلز مجددًا وقال:

- ألم يخبرك كلارك بأي شيء قبل رحيله؟

فأجابت سيلين وقالت:

- من وجهة نظر كلارك، فالقضية معقدة لا أكثر، ولا يستطيع معرفة القاتل.

فقال تشارلز:

- حسنًا

وهز رأسه هزة تنم عن علمه بأن سيلين تخفي شيئًا عنه لا ريب في ذلك، ثم أخبرها بأنه سيعود إلى منزله لتبديل ملابسه، وبدت إمارات المكر على وجهه إلى حدٍ مذهل، وغادر هو الآخر. اعتصمت سيلين بالهدوء وتماسكت، فتشارلز يبدي لها أسبابًا جديرة لتشك به أيضًا، ولكن قررت ألا تستسلم لأوهامها لحين ظهور الحقيقة، وبمثل ما قال كلارك بأننا لا نريد أن نخسر صديقًا. وبينما كانت واقفه بمفردها بخطوات معدودة توجه نحوها وفي اندهاش قال بيل:

- عجيب جداً ما يحدث قاتل يجور على ضحاياه دون أن يترك أثراً وراءه!

وأردف بيل قائلا:

- أخشى ألا يكون في مقدورنا الإمساك به!

فقالت سيلين برباطة جأش:

- ما دامت هناك فرصة لنحيا فهناك دائما فرصة للإمساك به.

فتساءل بيل عن السر الدفين وراء رحيل كلارك وتشارلز باكراً، فشرعت سيلين في التحدث إلى بيل ولكن لم تفضِ بما أخبرها به كلارك عن تشارلز، اكتفت بالقليل، والقليل هو:

- إن كلارك مضى إلى سبيله على انفراد، ولا يريد أن يعوقه أحد، وسيخبرنا بكافة التفاصيل مساء هذا اليوم. وتشارلز ذهب إلى منزله لتبديل ثيابه واستجماع قواه للعودة من جديد.

فقال بيل:

- حسنًا، ها نحن ننتظر!

وبعد وهلة تخللها إشعال لفافة تبغ، تساءل بيل وقال:

- من يستطيع الإقدام على ذلك؟ وما مدى سوء الهواجس التي تلعب بعقل هذا المجرم يا سيلين؟ فنحن لم نرَ مثل تلك الجرائم البشعة في بلادنا. هذا الأمر أخطر وأكثر تعقيداً مما نتخيل بالتأكيد!

وعلى الجانب الآخر، وبعد أحاديث عابره من فورمان وإيمليا لبعضٍ من أهالي القرية، عقبه استجواب ثم دعم لحالاتهم المزرية أيضًا، ومنهم من تعاون معهم ومنهم من نظروا ممتعضين ولم يكترثوا لهم، فموت الفتاة وديفيد من بعدها ينذر بالحظ السيئ لمن يسكنوا جوارهم، وينذر أيضًا بأن حياتهم أصبحت على المحك. توجهوا نحو بيل وسيلين وقالوا:

- لا شهود إثبات، أقوال متضاربة، ولا نستطيع أن نجزم بشكل قاطع الآن وبالتحديد متى كان وقت حدوث الجريمة، كل ما نملكه هو اتصال من مجهول يخبرنا بوقوعها، وأنهم لم يروا غريبًا يجوب المنطقة في الآونة الأخيرة قط.

بدأت المناوشات بينهم واستمرت كثيرًا، وبدأ الليل يحلولك ويشتد في ذلك.

الثامنة مساءً تعلن موعد اتصال كلارك جوزيف بطاقم العمل، ودعوتهم إلى منزله وقد حثهم على عدم التأخير. وقد كانوا على عتبة منزل كلارك في موعدهم المحدد وكان في انتظارهم، وعند جلوسهم تساءلوا عن عدم مجيء تشارلز، فنظرت سيلين إلى كلارك فقال أنه يعاني الإرهاق بالتأكيد من رحلته تلك ولا يريد أن يشق عليه.

واستهل كلارك حديثه وبلا مقدمات قال:

- لقد لفظ ديفيد أنفاسه الأخيرة على فراشه، ولم يلم صارخًا، وكأن هناك خطب ما، مما يعني أنه كان خائر القوى، فاستطاع القاتل السيطرة عليه وتجريده من ملابسه، أو رقد في فراشه بمحض إرادته مع إحدى العاهرات.

وأضاف أيضًا وقال:

- زبدة ما أعنيه وخلاصته أن القاتل يعرف ديفيد جيداً، يعرف أيضًا كيف يستدرجه في الحديث، يعلم أن ديفيد وحده في المنزل. لقد قالت زوجة ديفيد أنها أحبته ولكنها تركته لخيانته. ومَن يحب لا يترك، بل يناضل ويواصل التضحيات إلى الرمق الأخير له، هكذا هو الحب دائما. وقال ديفيد أنها هي مَن كانت خائنة وتسعى وراء الأموال فقط، وإحدى العوامل التي تحسم الشك بزوجته أن ديفيد محط طمع بأمواله وتزوجته لأجلها. (شيريل ستايسي)، هكذا تدعى زوجة ديفيد، إنها تسكن الآن هنا في المدينة على حسب ما قيل لي، وواصلت البحث؛ حتى استطعتُ أن أجد مَن يُدلي لي بعنوانها، وهي صديقتها المقربة بعدما أعطيت لها حفنة من الأموال، وسنذهب لاستجوابها على الفور..

وأضاف أيضًا وقال:

- أنا لا أستطيع أن أهبكم الطمأنينة والأمان، فالخوف يتربصنا جميعاً، فكونوا على حرص فقط.

وفي تمام العاشرة مساءً، كانوا بأكملهم أمام منزل شيريل، تركوا سيارتهم جانباً وصعدوا إليها، ولم يكن باب منزلها موصداً بإحكام فاستطاعوا الدخول، ولم يستغرقوا كثيراً من الوقت ليجدوها أمامهم،

وبحالة من الهلع نظروا إلى بعضهم البعض وعجز كلارك عن الحديث، فمخاوفه بلغت ذروتها، لقد كانت في سهرةٍ حمراء انتهت بشنقها عارية، ووجدوها في منتصف المنزل أعينها مفتوحة عن آخرها، كافة أطرافها زرقاء واللعاب يثير من فمها وكأنها حديثة الموت! هكذا تنتهي الليالي الشيطانية ولا جديد، يُذكر فقد تم إرسالها إلى الجحيم على يد نفس القاتل. ولكن الغريب في الأمر هو أن أموالها وكافة أغراضها من مجوهرات وغيره كانت في مكانها، مما يشير إلى أن هذا القاتل لم يردها أن تبوح بشيء لرجال التحقيق، وأنها أصبحت عائقًا أمامه فتخلص منها.

قام فورمان بالاتصال والإبلاغ عن الواقعة وعادوا جميعهم خائبي الخاطر. وساءت حالتهم النفسية كثيراً، وهنا الشكوك جميعها حُسمت صوب تشارلز، وابتعلت دوامات الشك الأمل الباقي لكلارك وسيلين. ولكن لم يعلم بهذا الأمر غيرهما فقط. وقبل عودتهم إلى المنزل ورحيلهم ليعلموا كيف سيمضون قدماً في تلك القضية غداً، طلب كلارك من سيلين أن تذهب معه إلى منزله وتمكث معه تلك الليلة، فلقد كان خائفًا أن تكون عرضة للخطر ويغامر بتركها وحدها فوافقت وطلب من البقية أن يكونوا على حذر وأعينهم في ترقب، وواصل صب التحذيرات، ثم غادر.

وفي طريقهما للعودة، وفيما يتحدثان شاءت المصادفة أن يرى كلارك سيارة تشارلز واقفة قرب منزلٍ من إحدى المنازل الواهية القديمة في المدينة فاقترب كلارك بسيارته على نحو تدريجي شيئا بعد شيء وقد غدت السيارة أكثر وضوحًا لكلارك وسيلين، وبحديث يرشح بالحسرة وبشعور يؤلم فؤاده نظر كلارك إلى سيلين وقال:

- دعينا ندخل وراءه هذا المنزل ونعلم ماذا يخطط له ونواجهه يا سيلين!

ولكن لم يكد كلارك يستمع إلى إجابتها بعد وغدت الأمطار تهطل بغزارة وصخب شديد، وسرعان ما ارتجف جسده وأوصاله ارتعدت من شدة البرودة والإجهاد، والتي استطاعت سيلين رؤية هذا الأمر، ثم قالت بحزم:

- لا، لن نمضي ونحن غير دارين بمن معه ولسنا على جاهزية الآن لهذا الأمر. لنترك ذلك للغد يا كلارك لتجدد قواك وتستجمعها وعندئذ نواجهه!

وبعد تفكير مليّ من كلارك، قام بتغيير وجهته ورحل.

***

في اليوم الثاني، العنوان الرئيسي لصحيفة(سويك) الصحيفة الأكثر شعبية في المدينة:(سفاح بولو ستيك الغامض). قالت الصحيفة أن هناك حالات قتل غامضة تسود قرية بولو ستيك، وأذعنت أن هذا القاتل بدأ يخطو خطواته نحو المدينة، ووضع قدمًا بها بالفعل بمقتل (شيريل ستايسي)، وقامت بتقديم وصف المقاتل بأن هناك سفاح يُدعى المنتقم ذو اتجاهات إجرامية عديدة وغير مألوفة، يتفنن بقتل ضحاياه ويبعد بسنوات ضوئية عن رجال التحقيق والشرطة ولايستطيعون ملاحقته، وفشلوا جميعهم في ذلك وعلى رأسهم المحقق الأشهر في المدينة كلارك جوزيف. ثم توالت العديد من الصحف كالنار في الهشيم تبعاً لما قدمته صحيفة سويك، وجميعهم اضطهدوا كلارك جوزيف وهاجموه.

استيقظ كلارك في ساعة مبكرة، فمخاوفه لم تجعله يحظى بنومة هنيئة، لقد نام ساعة أو بعض ساعة، وخرج يستنشق الهواء في حديقة منزله وقد صاحبه الضيق بعد قراءته للصحيفة، وران الشحوب الشديد وجهه وسادت عليه إمارات الإخفاق والفشل في قضية ريك وإعدامه، وبات على يقين الآن بأن تلك القضية كانت ملفقة. وبعدها بنصف ساعة تقريبًا نهضت سيلين من فراشها وكان بيدها تلك الصحيفة، وسرعان ما نظرت من النافذة لترى كلارك جالسًا بالخارج، فمضت نحوه وقالت:

- هل أنت بخير يا كلارك؟

فقال كلارك متظاهرًا بالهدوء:

- نعم، أنا بخير.

كانت سيلين على علم بأنه لا يقول الحقيقة بعدما هاجمته الصحافة، وبإطراء عظيم وباعتزاز بالغ قالت:

لا تبالِ يا كلارك، أنت الأفضل دائماً ولا أحد مثلك في تلك المدينة!

فاكتفى كلارك بالابتسام لها فقط. فجلست بجواره على المائدة ويدها متصلبتين عليها وسمرت عينها نحوه بدرجات حب سامية، ظنا منها أنه سيبادلها ولكن لم يفعل، لقد كانت سيلين تمتلك من اللطف والنعومة ما يكفي لتحتل فؤاد كلارك وآلاف غيره، وفوق هذا كان مظهرها رائعًا للغاية، ولكن لم يبالِ بها كلارك عن عمد، لقد كان منهمكاً بتلك القضية وكانت شغله الشاغل فقط. أنفق كلارك دقيقة في تأمل صامت ثم قال:

- لا أعلم ما هي الدوافع التي تجعل تشارلز يتورط في ذلك، هل الأموال؟ إن كانت الأموال حقا فتبا لها!

فقالت سيلين بابتسامة رصينة:

- وهل الأموال دافع ضئيل بالنسبة لك يا كلارك؟

يقاطعها كلارك ويقول:

- ولكن أيستغل منزلته ومكانته الرفيعة في الإجرام ليتمتع بثروة واسعة يا سيلين؟!

واستمر حديثهما هذا الملفع بالأسرار والخبايا والمناوشات لوقت كاف حتى استعدا لمقابلة تشارلز. قام كلارك بالاتصال بتشارلز ليخبره بأنه يريد مقابلته ليطلعه على القاتل وينهي تلك القضية، وقام بتحديد موعد معه هذا اليوم لملاقاته. ومن الناحية الأخرى كانت مشاعر كلارك في تضارب، وكان الحب يروّض فؤاده، ولكن كان كتوماً في تلك الأمور احتراماً لمخاوفه، واحتراماً لمخاوفه أيضًا.

طلب من سيلين ألا تأتي معه وأن تبقى، ولكن سيلين لم تستطع استيعاب مقصد كلارك أنه خائف عليها، ربما ولأنه لم يلمح لها قبلاً ولم يبد إعجابه بها سابقاً، فأبت سيلين هذا الأمر، ولم يطوق كلارك بالاسترضاء لمجيئها خوفا من تكرار نهاية مأساوية أمام عينيه، ومن نهاية حزينة أخرى، ولكن لم يكن بيده أية حيلة.

وبعد فترة وجيزة استعدا للرحيل، وبينما كانا بداخل سيارة كلارك وعلى وشك الانطلاق أخرج كلارك مسدسه وطلب من سيلين أن تجعله معها لتكون بأمان، وسارع بفعل ذلك. لقد كان وجه كلارك يشرق حكمة ووعياً،

وما هي إلا لحظة وقامت سيلين بإخراج سكين متوسط الحجم شفرته حادة للغاية لو مرَّ بعنق أحدهما سيقتلعه على الفور. اعترت كلارك دهشة غريبة ثم ابتسم وأردف قائلا:

- ما هذه ولماذا تحملينها؟!

فقالت سيلين برباطة جأش:

- إنها دائماً بحوزتي أينما ذهبت ولا تفارقني، فلا أحد ينجو من جام الخطر ولو كان في رحم أمه، وأنا أُفّضِل أن أحملها ولا أحتاجها بدلاً من أن أحتاجها ولا أحملها.

وفي أثناء ذلك، كان كلارك قد غمره شيء من الطمانينة قليلا بتلك الاستعدادات. في بادئ الأمر حرص كلارك على كتمان ما يعلمه عن تشارلز هو وسيلين بالاتفاق معها، ولكن خطر في باله أنه من الجيد إخبار بيل وفورمان بهذا، حتى وإن حدث لهما مكروه وهما ذاهبان إليه يواصلان في تلك القضية ويحلا محلهما، ويكونا على علم بالقاتل، وعندئذ قام بالاتصال بهما وأخبرهما بكافة التفاصيل.

كان الجو لاذعاً للغاية، والرياح سريعة قاسية وأكثر صخبًا، على الرغم من أن شيئًا من المطر لم يهطل كانت تلك حالة الطقس في الخارج، انطلق كلارك وسيلين مباشرةً نحو تشارلز. وما هي إلا ساعة واحدة انقضت من مغادرتهما المنزل وكانا على الجانب الآخر من المدينة في ساحات (سيان)، تلك الساحات المهجورة بأكملها كانت تقع في طرف المدينة، وكان السكان قد أخلوها منذ أمدٍ بعيد بعدما انتشر بها وباء خبيث حرصًا على أنفسهم والآن لا يوجد بها سوى معشر الكلاب الضالة، ويتخذونها مأوّى لهم، لم يكن في شوارعها أحد، الطرقات بأكملها خالية، نباح الكلاب لا أكثر.

توقف كلارك وسيلين بجانب السيارة واعتصما الهدوء فترة من الزمن، وكان الخوف والفزع قد استبدا بهما لا محالة، فهما الآن فريسة في يد القاتل. وفي غمِرةٍ من خوفهما ظهر تشارلز، كان يسير محاذيًا للرصيف واستطاعا رؤيته، ثم تطلعا إليه وترقبا خطواته، بينما يتراسلان فيما بينهما بالنظرات.

- كوني على حذر!

هكذا تمتم كلارك لسيلين ليجعلها على يقظة من أمرها، وكان على بعد خطوات منهم، وإذ برصاصةٍ تنطلق كالبرق في اتجاه تشارلز لتسكن أعلى رأسه وتطرحه أرضًا مفارقاً الحياة أمام نظرهما. فأجال كلارك وسيلين طرفهما فيما حولهما بكثير من الذعر، وبدأ بالركض ليستمر الإطلاق الناري بشكلٍ عشوائي ولكن لم يصِبهما، فاستطاع كلارك الوصول إلى سيارته وانطلق نحو سيلين مسرعاً وأخذها، وضغط على وقود السيارة فجعلها تدوي صوتاً يتردد صداه في الساحات، وما هي إلا دقائق وكان خارجها وغادر على الفور.

واصل كلارك السير ولم يكن يعلم إلى أين يتجه، ثم قال ليهدئ من روعها قليلاً:

- سيكون كل شيء على ما يرام!

ثم تمسك بيدها للمرة الأولى بعدما رأى الحزن يبتلعها ودموعها تغطي وجهها، فقالت سيلين بشيءٍ من التقطع وهي ما زالت تزرف دموعها:

- أخشى أن يزداد الأمر سوءًا يومًا بعد يوم يا كلارك!

فقال كلارك:

- تماسكي يا سيلين.. مهما كان الوضع سيئًا فنحن ما زلنا هنا، وسنعلم في نهاية المطاف بكل تأكيد من الوغد الذي يجرؤ على فعل ذلك.

وبعد دقائق، توقف كلارك بسيارته قليلًا بعدما رأى شخصًا آخر بجانبه غير الذي كانت سابقاً، شخصًا لا يمت بصلة إلى ذي قبل، لقد عصف الحزن بسيلين بعد مقتل تشارلز، فبدأ بمواساتها من جديد وما هي إلا لحظات يسيرة ليجد أحدهم يتسلل ويقرع هيكل السيارة قرعًا شديدًا ويركض، ولكن لم يستطع كلارك رؤيته ليتكرر المشهد مجددًا وشخص آخر يقرع السيارة ويصدمها بشيء بيده ويركض, فقام كلارك بفتح باب سيارته وأوصده على سيلين بعدما استطاع رؤية ظلان يتحركان بين الأشجار بكل طلاقة، فقام بإخراج مسدسه وتوجه نحوهما، وبدأ بالتسلل والسير بخفة شيئًا بعد شيء، وحاول أن يكبح الخوف الذي استبدَّ به وواصل والدم يغلي في عروقه من الرعب، حتى إذا كان بالقرب اليسير منهما واستعد أن ينقض عليهما وجدهما كلبانِ يتقاسمانِ طعامًا بين الأشجار لا أكثر.

وبينما هو عائدٌ أدراجه من جديد في هدوء استطاعت سيلين رؤية أشخاصٍ خلفه لتفتح نافذة السيارة بخفة وسرعة بالغة وتشير بيدها صوب كلارك وتصرخ، فأحسّ كلارك بالخطر، فقام بإطلاق رصاصة نارية لأعلى ليتوقفوا مع إطلاق الرصاص وينبطحوا أرضًا فالتفت كلارك نحوهم.. لقد كانوا مجموعة من الصبية يمشون كخلية من النمل ملثمين بأشياء وأقنعة غريبة ويلبسون أزياء تنكرية موحشة ومربكة إلى حدٍ ما. ليردد كلارك بداخله:

- يا إلهي! ما هذا؟!

ولم يقضِ كلارك وقتاً طويلًا ليتذكر أنهم في تشرين الأول، وهذا موعد عيد الهالوين عندهم. وسرعان ما أخبر سيلين بهذا الأمر، لم تتمالك نفسها وانفجرت ضاحكة، لم ينظر كلارك إلى هؤلاء الصبية مجددًا، فلم يكن يدرِ ماذا سيخبرهم عما فعله وهذا التصرف المريب تجاههم، ولكنهم نجحوا بالفعل في إرهاب كلارك وسيلين وإخافتهم.

صعد كلارك إلى سيارته مجددًا وانطلق نحو منزله، لقد كانت المدينة بأكملها بالفعل تستعد للهالوين أبواب المنازل والعمدان يعلقون رؤوس اليقطين، جميع الصغار يرتدون أزياء مخيفة. فاستغل كلارك هذا الحدث وهذا اليوم ليسرد على سيلين قصة مخيفة حدثت بالفعل، كانت تسمى تلك القصة (ضريح العجوز)، في سان باولو كاليفورنيا وقعت حادثة حقيقية كانت بطلتها سيدة عجوز ويسرد تلك القصة على لسان ليثادور وما حدث له في أحد أعياد الهالوين هناك ويقول:

"كل هذا حدث قبل ثمانية وعشرون عاما، عندما كان عمري فقط، حينما كان أبي وأمي يأخذاني للاحتفال بعيد الهالوين عند عمتي وأجدادي، وقتها كنت أستطيع اللعب مع أبناء عمتي وممارسة الخدع اللطيفة كما كنا نلهو ونلبس أزياء التخفي الخاصة بعيد الهالوين وبين منزل عمتي ومنزل أجدادي كان يوجد منزل متهالك قديم دائماً ما كنا نمر به ذهابًا وإيابًا كانت تعيش به امرأة عجوز طولها حوالي سنة أقدام وكانت ترتدى دائماً سلاسل حول عنقها وأحذية ثقيلة، كان شكلها يبدو مريبًا خاصةً أنها كانت تقف باستمرار وتراقبنا من بعيد. كنت أنا وأبناء عمتي نركض بالقرب من حديقتها ونلعب ونصرخ فكانت تخرج لنا تصرخ فينا وتوبخنا وتقول إن الشيطان قادم لا محالة لأخذ أرواحكم، فلما أخبرنا أبوينا بذلك نصحونا بالابتعاد عنها ولكن ابن عمتي كان لديه فضول لدخول بيت تلك العجوز ومعرفة أسرارها،

فقد كانت غريبة لا تختلط بأحد ولا تسمح لأحد بزيارتها أو الاقتراب منها. وفي أحد الأيام، لبسنا أزياء التنكر وتوجهنا إلى بيتها، وبدأ ابن عمتي برن الجرس، كان هناك ضجيج صادر من داخل المنزل وكنا خائفين وعلى وشك الانصراف، ولكن فجأة فُتح الباب وكانت السيدة العجوز تقف هناك في ضوء خافت كانت تمسك شيئًا بيدها وعندما رأينا ما بيدها بوضوح هربنا وركضنا مسرعين في رعبٍ شديدٍ، لقد كان رأسًا مقطوعا!

وصلنا إلى المنزل نكاد نتنفس بصعوبة في رعب شديد من هول المنظر، وكان الصغار معنا يبكون، وعندما أخبرنا الأسرة بذلك ضحكوا وقالوا لا بد أنها واحدة من ألعاب الهالوين أو وجه تخفى مصطنع. وللمرة الثانية نصحتنا جدتنا بالابتعاد عن منزل العجوز واللعب بجوار منزلنا فقط، وبعد انتهاء العيد عدت إلى منزلنا بالمدينة ونسيت كل شيء.

بعد حوالي شهر رن هاتف منزلنا وردت أمي عليه، كانت المكالمة من جدتي وأخبرت أمي فيها بأن المرأة العجوز كادت تقتل عمتي فأثناء وصول عمتي إلى المنزل من السوق كانت تحمل البقالة في ذراع وتمسك بابنها في الذراع الأخرى وعندما وصلت إلى باب المنزل ظهرت المرأة العجوز، خلفها كان بيدها حبل طرقت به عنقها وحاولت خنقها فانقلبت عمتي على الأرض ووقعت منها البقالة وهرب ابن عمتي الصغير وأخذ يصرخ ويقول: "ساعدوا أمي أنقذوها". صرخت عمتي وركلت الباب بقدميها وفى تلك اللحظة سمع زوجها الضجة، فخرج معه عصا طويلة ضرب بها المرأة العجوز حتى فقدت وعيها وبأعجوبة نجت عمتي من الهجوم البشع ولكن تلك الحادثة تركت ندوباً بوجهها وعنقها. وبعدها تم استدعاء الشرطة واعتقلوا السيدة العجوز، وعندما بحثوا في منزلها وجدوا شيئًا غريبًا صدم الجميع كان أسفل منزل العجوز ضريح مبني به شموع وتماثيل مرعبة، وكان بوسط الضريح رأس إنسان حقيقي كانت نفس الرأس التي رأيناها عندما ذهبنا إلى بيتها ونحن نلعب في عيد الهالوين". وفي شيء من التملق من كلارك قاصدًا إرهاب سيلين، استهل حديثه وقال:

- لا تستهيني بامرأة عجوز فلسن كلهن سواء، ومن تظنينها لا تستطيع المضي قدمّا لبضع خطوات قد تمضي بكِ إلى الجحيم، لذا احذري جيدًا من السيدة العجوز يا سيلين!

وعند انتهاء كلارك من تلك القصة، أمست سيلين عاجزة عن كبح خوفها. فارتمت على صدره. وفيما كانا يسيران ظلت سيلين طوال الطريق ترتبك بشدة بالغة، لقد كان القلق يمتلكها ودبَّ الفزع بها وتسارعت نبضاتها وظلت هكذا حتى وصل كلارك منزله قام كلارك بالاتصال ببيل وبلهجةٍ يشوبها الحزن والأسف أخبره بما حدث وطلب منه الكتمان على ذلك وألا يفضح أمر تشارلز وشدد عليه. ففي نهاية المطاف تشارلز قد غلبته نفسه لإشباع رغباتها الشيطانية وسولت له ارتكاب ذاك الإثم، وقد لقي ما يستحقه وكان عسيراً على كلارك أن يشي بسر صديق له حتى وإن لم يكن خيراً.

فأثار كلارك إعجاب سيلين الشديد بفعله ذلك، وما هي إلا لحظات يسيرة لي لتمضي سيلين إلى مطبخ كلارك وتحضر طعام العشاء، واتخذت سبيلها في الإعداد بينما كان كلارك يبدل ثيابه ويحضر لسيلين بعضًا من ملابسه القطنية ليدثرها بها فالجو كان لاذعًا وشديد البرودة شرعا يلتهمان الطعام، وطوال تناولهما لزما الصمت والهدوء فقط.

انتهى كلارك من طعامه، أولًا، فدائماً ما كان حريصًا في تناوله خوفًا من أن تثقل معدته، وكان خليقاً بجسده أن يكون مفعمًا بالحيوية والنشاط لمواظبته على الحميات الغذائية وعدم إسرافه في الطعام. وبعد لحظات كثيرة من الصمت والتفكير أضاف كلارك قائلاً:

- أرجو ألا يستبد بكِ الذهول لما سوف أقوله لكِ، ولكن هناك ما ينم عن الخيانة في تلك القضية يا سيلين.

فقالت سيلين في دهشة:

- وكيف ذلك؟!

فقال كلارك:

- سوف أخبركِ على الفور...

وأستأنف حديثه قائلاً:

- لن أستطيع تقليب الرأي في هذه المسألة، فهي بيني وبينك، وإن كان هناك من يجب أن أثق به فهو أنتِ فقط، وتلك ثقة لا ريب بها ولا يشوبها أي شك ولا حائل.

لقد كان كلارك ذو نظر بعيدة للغاية بشأن القضايا من ثم طرح عليها سؤالاً واضحاً به شيء من الفطنة وفقًا لمألوف عادته وقال:

- الم يخطر ببالك قط كيف علم القاتل موعد ومكان مقابلتنا بتشارلز؟!

وهنا ساد العبوس، وجه، سيلين وكأنها تقيدت وغلبها الصمت، فلم تستطع الإجابة على كلارك، فقال كلارك مجيبا على نفسه وبرهانا لما ذعن به:

- لم يعلم بتلك المقابلة سوى فورمان وبيل، بيتشو، ولم تكن إيمليا على علم ودراية بهذا الأمر بعد فأصبحت أنت وإيمليا الآن جانباً.

فراحت تحدق باستغراق في وجه كلارك، وبشيء من الذعر أردفت قائلة:

- أيُعقل هذا؟!

وشيئًا بعد شيء بعد عبوسها بتفكيرها قالت:

- حتى وإن كان أحد منهم له يد بذلك، فكيف سنعلم القاتل ونفرق من بينهم يا كلارك إن كنت على صواب؟

فقال كلارك:

- اتركي هذا لي وسأفعل ما يتعين علي فعله وسأخبرك بكل شيء فيما بعد، ولكن الآن يتوجب عليكِ أن تحظي بقسطٍ من الراحة وتخلدي إلى النوم. فلقد كان كلارك على علم بأن سيلين قد أرهقها التعب من أهوال هذا اليوم، واكتنفها الأرق، وسرعان ما وافقته وتوجهت نحو الفراش، ظل هو الآخر قابعاً في مقعده محاولاً أن ينام أيضًا.

***

الأول من تشرين الثاني..

يجيل بصره فيما حوله بوجهٍ مخيب للرجاء غارقًا في التأمل، الدماء تغلي في عروقه، لقد طفح الكيل به في تلك القضية وفي كثير من الضيق والنفور. نظر إلى أعلى قاصدًا السماء، وأنشأ يتضرع لها بنبرة ألم بالغة أن تنقذه ولا تدعه يقاسي أكثر من ذلك، وشيئًا بعد شيء استعاد هدوئه.

عقارب الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا، مصاحبًا معها اتصالاً هاتفيًا من إيمليا، تخبره أن مراسم دفن تشارلز ستبدأ قريبًا ولم يعد هناك متسع من الوقت للتأخر. وعندئذ ترك معاناته جانبًا وتأهب كلارك للذهاب ومضى نحو سيلين لإيقاظها والتي غرقت في نوم عميق، ولكن توقف أمامها في ذهول تام وكان هناك ما قد أثار انبهاره فبرغم الأرق الشديد لسيلين والعناء التي واجهته في الآونة الأخيرة وبعدما هُدّت قواها كانت نائمة في فراشها كالأطفال بجمالها الخلاب الطبيعي، ولم تنطفئ ملامحها، وكان نور الصباح يشرق في وجهها أولاً، وكأنها لم يمسسها شيء فاغتنم كلارك تلك الفرصة ليشاهدها عن كثب ويمعن النظر بها قليلاً من ثم همهم في نفسه قائلا:

- تبدو أمام الأشخاص كالمحاربين الأقوياء، تضع حسابًا لكل خطوة تخطوها، تواصل الثبات والصمود وكأنها منازل نوافذها مغلقة بإحكام، لا يمكن اقتحامها مطلقًا أو معرفة ما يدور بداخلها تتحدث عن القوة ولا تنفك عنها، وليست بحاجة إلى أحد البّتة ولكن في حقيقة الأمر هي تتصنع كل ذلك وبداخلها طفلة تبكي وتتأثر وتنهار وتسقط عند فراق أحدهم.. من ثُمَّ تنهض مجددًا بضحكتها المعتادة لتواصل وتواصل، ما أجمل سيلين! ما أجملها!

وبعد نوبات عميقه من النظر والتمعن قرر أن ينفك مما يفعله ويوقظها كي يعجلا في الذهاب وبصيحات ضعيفة بعض الشيء، وكأنه همسًا مناديًا عليها. ولم تتوال لحظات ليكرر مرة أخرى لتسارع سيلين في الاستيقاظ قبل أن يلجأ إلى الصراخ، وتجيل النظر فيما حولها بحذر ورهبة بعض الشيء، فلقد كانت أشعة الشمس المنعكسة في جميع أرجاء الغرفة تزعج بصرها وتغمغم لها الرؤية...

- لا بأس يا سيلين لا بأس!

هكذا قال كلارك ليريح فؤادها قليلاً، واستأنف حديثه قائلا:

- لقد تلقيت اتصالا منذ دقائق من إيمليا لتحيطنا علمًا بأن مراسم دفن تشارلز اليوم، وتحثنا على القدوم بشكل أسرع وهذا السر وراء إيقاظك الآن لا أكثر.

من ثم أردف قائلاً بلطفٍ معتزمًا مغازلتها:

- وبالمناسبة تبدين رائعة للغاية وأنت نائمة

فتبسمت سيلين واحمرَّ وجهها خجلاً، وسرعان ما انقلب عائداً من غرفتها ليترك لها المساحة الكافية لتبديل ملابسها، وشرع في إعداد الطعام ليتناولا بعض اللقيمات قبل رحيلهما.

***

العاشرة والنصف.

أوصد كلارك مصاريع النوافذ بإحكام، وبخطوات عاجلة هو وسيلين نحو سيارته لينطلقا بسرعة بالغة نحو الكنيسة والذين قد أعدوا لتشارلز مراسم لائقة برجلٍ شجاع يرشح بالاحترام، عاش في خدمة القانون ومحاذاة العدالة وتوفي وهو يضحي ويناضل من أجل معرفة الحقيقة ومضمونها ويا لها من موتة شجاعة، حشود كثيرة من الأشخاص من بينهم رجال الصحافة الذين لا ينفكون عن ترك الأموات بحالهم أيضًا المئات والمئات وكأن المدينة قد صبت سكانها في تلك البقعة رجال من الشرطة كضروب الحراسة يقفون يمينا ويسارًا حاملين البنادق ويشتركون في إطلاق النيران لأعلى في آن واحد، وفئة أخرى حاملين مشاعل من النار المتوهجة الكثير من معارفه وأصدقائه في مجال العمل مجتمعين في مقدمة الكنيسة.

وما زالت تواصل طلائع الحشد، زحفها ولكن كان هناك ما يشغل بال كلارك وهو أن دور العبادة خالية طوال العام من الأشخاص ولا يترددون إليها ولا يتذكرون الرب ويتضرعون إليه سوى في مناسبات الحزن فقط، ويا لها من خيبة!

واصل كلارك تقدمه بحثًا عن ركن أو ثقب يضع به سيارته إلى أن وجد وسرعان ما هبط من سيارته وترجّل منها بصحبة سيلين، وواصل سيره دون أن يبالي للهمهمة والهمسات من بين الأشخاص، حتى ظهرت رؤوس أفراد طاقمه تحديدا فتوجه إليهم، مباشرةً الكثير من العواطف والحزن تعتلج صدورهم لفقدان تشارلز عواطف صادقة أو زائفة على الأرجح آيا يكن فالشك والغموض كانا يحيطان بالمسألة وهما ما كان يعتلج صدر كلارك، فهو يعلم بأن من بينهم من يدعي الحزن لا أكثر وهو أكبر الشامتين وفي غاية السعادة لقتله تشارلز قبل أن يفضح أمره. ولكن في منظور كلارك أنه قد يكون هذا الظرف خيراً من هذا الظرف وتكشف له هوية القاتل، ربما قام بالترحيب الودي فقط كعادته واكتفي بذاك القدر، كان أمامهم راهبًا كبيراً ذو حكمة بالغة بهيّ الطلعة نبيل من النبلاء، المدينة بأكملها تكن له الاحترام والتقدير وكأنهم وجدوا مرادهم وغايتهم به وباتوا يتبعوه، كان يمنح الحاضرين بركته وسرعان ما رأته سيلين لتتوجه نحوه برشاقة وخفة ليمنحها من بركته هي الأخرى، ثم نقلت طرفها صوب كلارك كإشارة لدعوته للقدوم أيضًا، ولكن كلارك أبى أن يذهب، وبعدما فقدت سيلين الأمل وانقطع بها عادت أدراجها مجددا خائبة وقالت:

- لماذا لم تأتِ لرؤيته؟

فأجابها كلارك قائلاً:

- سوف أراه عما قريب يا سيلين.

لقد كان هناك ما يدور بداخله بالتأكيد، ولكن كبحت سيلين فضولها وسؤاله عنه. وسرعان ما بدأ الراهب بإلقاء كلماته وسارعوا جميعهم بالإنصات، والذي أردف قائلا:

- سنظل نؤمن بالموت أبد الدهر وسنعتصم الصمت والهدوء لعدالته ويجب علينا الا نستسلم للأسى العميق ويغمرنا الحزن فثمة عالم أكثر إشراقًا من هذا العالم لن نظلم به ولن نغدو خائبين قط من فرط الحزن والألم، فتضرعوا إلى الرب ليعفوا عن خطاياكم التي اقترفتموها عن عمد واسلكوا طرقه، فطرقه بدايتها خير ونهايته خير آخر، ولتكن مشيئة الرب فيما يحدث دائماً...

وبينما كان الراهب يتحدث وفي فيض من الشكوك، بدأ كلارك يجيل نظره نحوهما ما بين فورمان وبيل ليلاحظ مدى تغيرهم بالحديث ويمعن النظر بحركاتهما، وظل مستغرقًا هكذا لدقائق عديدة حتى لاحظه فورمان،

فساد القلق وإمارات الذعر وجهه وسرعان ما أحسَّ كلارك بانطباع غير مألوف. لحظات من التردد، قام بالهمس في أذن سيلين دون أن يرى فورمان، وأخبرها بأن تمعن النظر به أيضًا لتؤكد ظنونه وما هي إلا ثوان قليلة نظرت فيها سيلين إلى فورمان، ثم عادت هي الأخرى وعيناها حافلتان بالشك فلقد كان وجهه يمور ارتياباً، وقلقًا ولم تكد تلك الجلبة تنقضي ولم تنطلق المواكب ليضعوا جثمان تشارلز في قبره لترحل سيلين برفقة كلارك من الكنيسة، وبعد ساعة أو نحوها وبعدما هيمن عليهما الشك والظنون، بفورمان كان كلارك وسيلين في المنزل ليقول كلارك:

- وراء تلك المسألة سر دفين، وأعتقد وبشدة أن هنالك سبب مؤكد لدعوة فورمان من قبل تشارلز ليتولى معنا تلك القضية، وليست ضروبًا من الظنون، بل كلي ثقة بهذا الأمر!

ثم تابع حديثه قائلا:

- لقد جعلونا نُجدِّف عكس التيار عن عمد وجعلونا ننجرف إلى الطرف الآخر من القضية. لقد أخبرتُ بيل سابقًا بأن القضايا ذات طباع متناقضة لا يمكن أن تسير بسلاسة كتلك القضية - يقصد قضية ديفيد ديجو فيتش عندما أدانه بقتل تلك الفتاة ولم يتسن لي الوقت سابقا لأفض خفاياهما، لقد كانا يريدونها أن تنتهي وديفيد يُشنق ليأخذوا أمواله بالاتفاق مع زوجته والجميع يأخذ نصيبه من تلك الأموال، فقدموا لي تلك القضية المدبرة المتكاملة الخالية من الشوائب على طبق من ذهب ولكن كمالها هو ما ضاعف ظنوني بالشك، فالكمال دائماً يشتمل على النقص وبعدما عزمت النية على عدم التسرع والبحث ورائهما أرادا قتلي فلقد شموا رائحة الخطر تجاهي، وهذا أدعى للسلامة لهم جميعًا...

وبرباطة جأش قال:

- إنني امتلكت القوة والعزم سابقًا لأوقف شنق ديفيد وأقلب الطاولة رأسًا على عقب، أيا كان ما واجهه بعد خروجه وأيا كان قراري في شنق ريك، فأنا لا أدري أيضًا إلى الآن هل كان له يد معهم أم لا، ولكن في الوقت الراهن إن كان لا بد من فعل شيء آخر فهو أن أُعيد الكرة مجددًا وأوقف فورمان حتى وإن كان هذا ثمنه موتي، فأنا مستعد لدفعه.

وبينما كان كلارك يتحدث كانت سيلين تصغي بعناء بالغ له، فقالت وهي حائرة:

- وماذا سنفعل لنكشف أمره؟!

فأجابها كلارك قائلا:

- لن يكون من العسير علي الإيقاع به وسأقوم بخطوتي الأولى اليوم، سأخبر فورمان بأن تشارلز قبل موته قد أخبر إيمليا كل شيء عن القاتل وطلبت منا القدوم مساء هذا اليوم لتخبرنا عنه، وهذا بالاتفاق مع إيمليا فقط، وسنترك بيل جانبًا اليوم لنتأكد فقط من أن فورمان هو القاتل أم لا، وسأجعل إيمليا على اتصال دائم معنا وإن أحست بالخطر تعجل بالاتصال بنا.

وختم كلارك حديثه عند هذه النقطة، وقام بالاتصال بفورمان وإيمليا بالفعل.

***

الرابعة عصرا..

تلقى كلارك اتصالا هاتفيًا بينما كان هو بداخل المنزل يحضر مشروبا ساخنًا ليخفف عنهما القلق قليلا، ولسوء حظ سيلين أن تجيب، لقد كان صريخا مدويًا وضجيجًا مهولًا يحدث بداخل منزل إيمليا أثناء المكالمة، وكانت تنطق كلماتها بتقطع شديد من جراء الخوف الذي استبد بها:

- إنه هنا.. إنه هنا..

ثم سمعت سيلين صوت عيار ناري لينتهي الضجيج، وفي أثناء ذلك وقفت سيلين في دهشة صادمة تنظر إلى كلارك أثناء تقدمه نحوها ولم تنطق سوى بكلمة واحدة، ألا وهي:

- إيمليا!

من صميم فؤاد كلارك ولا ريب في ذلك علم بأن إيمليا قد أصابها مكروه من هول ما يراه من سيلين، فغمره الضيق وطرح ما بيده أرضًا ليحضر سيارته ويأخذ سيلين وينطلق بأقصى سرعة نحوها وبمثل سرعة البرق كان أمام منزلها، لتدخل سيلين أولاً ويلحقها كلارك، لتجدها مطروحة أرضًا مصابة بطلق ناري في أحشائها ودمائها ما زالت تنزف، فشعرت سيلين بالغثيان وتقيأت على الفور، وما إن رآها كلارك غمره الضيق، ثم قلع سترته وغطاها بها واستبد به الغضب والنفور بشكل بالغ، وأصبح مولعا بالإمساك بفورمان وأراد أيضًا أن يعوض خسارته في الحال وينهي أمره، فخرج على الفور وقام بالاتصال ببيل وأخبره أن فورمان القاتل، ومن غير شك في الأمر أن فورمان سيذهب إلى منزله في الحالتين إن كان يجهز حاله للهرب أو يصطنع اللامبالاة بهذا الأمر، وبشأن قتله لإيملياء فليتوجه نحوه بأقصى سرعته ويلحق به ويتوخى الحذر أيضًا.

وبصنيع لما حدث كانت سيلين في حالةٍ من الانهيار، فأحتها كلارك على التماسك لكي تستعيد رباطة جأشها، وما إن بدت إليه بحال أفضل لينطلق على الفور إلى منزل فورمان تباعًا لبيل، لكي يصلا سويًا، ولكن كما يقولون "المصائب لا تأتي فرادى أثناء انطلاقهم تغيرت سرعة السيارة تغيراً ملحوظاً إلى أن توقفت في منتصف الطريق، حاول كلارك إعادة تشغيلها مرة بعد مرة حتى اتضح له أن الوقود قد نفد وفي غمرةٍ من توقفهم واضطرابهم قام بيل بمهاتفة كلارك ليخبره أنه أمام منزل فورمان واستنادا لما بينهما من مودة سابقة، وإذ بلهجة مماثلة بالأمر من كلارك طلب من بيل أن ينتظر وحثّه على عدم النضال والدخول وحده حتى يأتي له هو وسيلين كي لا يصيبه مكروه وأذى، فوافقه بيل. ثم لجأ كلارك إلى حل آخر وهو أن يركبا سيارة أجرة تلحقهم ببيل..

من فرط قلقه، وبعد عشر دقائق، وبينما هم قد شارفوا على الوصول تلقى كلارك اتصالا هاتفيًا من بيل مجددًا يخبره أن فورمان قد اشتبك معه بعدما رآه وأصابه بطلق ناري في قدمه ولكنه استطاع القضاء عليه وقتله في نهاية الأمر.

ليتنفس كلارك وسيلين الصعداء قليلا، وما هي إلا لحظات يسيرة وكانوا في منزل فورمان ليجدا فورمان وبيل كلاهما مطروحان أرضًا. توجهت سيلين نحو بيل على نحو عاجل تخبره بأن يتماسك، وفي الجانب الآخر أجرى كلارك اتصالا برجال الإسعاف ليأتوا على الفور.

***

الثاني من تشرين الثاني...

وسائل الأعلام بدأت بكشف أسرار القضية على لسان المحققة الرائعة سيلين والتي قالت في البداية:

" قد لا يعجبكم ما أقوله ولكن هذه الحقيقة ولن أطيل عليكم، هذه القضية تحكي عن شياطين البلدة وهم يتجسدون في صورة ملائكة وتحت جنح الظلام. لقد قابلتموه جميعًا بالاستهجان على إخفاقه في موت رئيس شرطة قرية بولو ستيك، ولكن لن أخفي هذا السر عنكم ، لم يكن تشارلز بريئًا من تلك القضية البتة، بل كان تشارلز رأس الشيطان في تلك القضية والعقل المدبر لها، ومن أراد الكتمان على هذا الأمر وعدم الإفشاء به هو كلارك جوزيف احتراما لكم أولا ثم احترامًا لصديق كان كلارك الذي تحمل المتاعب والمشقة من الجميع، وأرادوا اغتياله في عقر داره ولكن واظب في القضية ولم يكل ولم يردعه خوفه حتى ظهر الحق وحدث ما عاهدنا عليه لقد كانوا يمسكون بعصاة الشر، ولكنه وحده تمسّك بعصاة الخير بكامل عافيته - لقد أرادوا قتل ديفيد ديجو فيتش لنهب أمواله بالاشتراك مع زوجته والمحقق فورمان ولكن لم يحدث الأمر كما أرادوا ولم تفلح تدابيرهم وكان البطل وراء ذلك والسبب الرئيسي في إخفاقهم ذو الملاحظة الدقيقة والأفضل في البلدة، كلارك جوزيف".

ثم أضافت قائلة بتواضع مبالغ به:

"وأنا وبيل بيتشو لم نكن أكثر من مساعدين فقط ونلنا شرف العمل معه والمعاونة".

في الجانب الآخر، كلارك القهوة ثم جلس مشعلا سيجارته، وكان هناك ما يُعكر صفوه، لقد أورثته وحدته انزعاجًا شديدًا للغاية، لقد اعتاد على سيلين وحضورها في الآونة الأخيرة، مع العلم أن من عادات كلارك، وفي ظروف مماثلة بعد انتهاء أية قضية ينجح بحلها الاعتصام بمنزله لفترة من الزمن ويلتزم الهدوء، فهو لا يهوى الضجة ويخشى الحشود. وبعد بضع لحظات من التفكير، أخرج كلارك هاتفه وقام بالاتصال بسيلين لكن من سوء الطالع لم تجب،

فجلس طاويا ذراعه حائرًا شارد الذهن من الصباح الباكر حتى وقت الظهيرة، وكان كلارك بحالة عثرة للغاية حتى راق باله باتصال من سيلين والتي أوقعت في نفسه مسرة واضحة. لقد أخبرته بأنها كنت نائمة وسألته القدوم لرؤية بيل هذا اليوم، فوافق كلارك، وبعد انتهائه من حديثها توق بالاسترضاء كثيراً، لأنه ستتاح له رؤيتها اليوم.

وطوال هذه الفترة ظل يحدق في وجوه المارة ليبادلوه وهم ماضون إلى سبيلهم تارة وإلى العربات التي تجتاز المكان تارة أخرى، فلم يكن يعلم ماذا يفعل، ينتظر مرور الوقت فقط شيئًا بعد شيء، وإذ بغلام صغير مار بالجوار أخذ يقلب طرفه في كلارك ويواصل تحديقه، به ليبادله كلارك النظرات، فواصل تقدمه حتى وصل إلى سياج الحديقة، وعلى مقربة من كلارك بمقدار كاف، وفيما كان هذا الغلام يراقبه، نهض كلارك من مقعده متجها نحوه، وبعدما أمعن هذا الغلام النظر به ووضحت له الرؤية هرع متفاجئا وضرب بقدميه الأرض قائلا:

يا إلهي! يا إلهي! كلارك جوزيف!

تبسم كلارك ودعاه للدخول، فلاحت على وجه هذا الغلام الابتسامة وهزّ رأسه بابتهاج هزة تدل على الموافقة، وقد غلبت السعادة وجهه وغار في فؤاده السرور. لقد كان غلاما مسكيناً، ملابسه ممزقة يكسوها الوحل والغبار، عيناه راشحه بالألم، وأثر الإجهاد يعلو وجهه وفي لهفة متطفلة من الغلام الصغير أثناء دخوله بات يحدق في منزل كلارك وبناية منزله، وإلى تلك السيارة الفاخرة التي يمتلكها، ثم أردف قائلا بلطف بالغ:

- حفظهما لك الرب يا سيد كلارك أنت تستحق الأفضل دائما...

ويا لها من طريقة!

ثم استأنف حديثه في شيء من الإجلال والتعظيم وقال:

وتسرني رؤيتك للغاية يا سيد كلارك، وكم يسعدني جلوسي معك وإنه لشرف عظيم لي أن تدعوني إلى منزلك، وسيظل هذا الحدث عالقًا في ذاكرتي إلى الأبد.

فمد له كلارك يده له ليصافحه ولكن بحرص شديد خاف أن يصافحه الغلام كي لا يصبغ يده ويوسخها بالوحل، ولكن كلارك أصر على مصافحته. وفي أثناء ذلك قام كلارك بمصافحته، بود فابتسم الغلام وضوى بريق يلمع في عينيه، ولقد كان بالقرب الكافي من كلارك والذي استطاع رؤية ابتسامة ودودة للغاية وروح عذبة تسكن بداخل غلام مسكين ميسور الحال وراقٍ هذا الغلام لكلارك كثيراً من الوهلة الأولى، ثم دعاه كلارك للجلوس، وبعد ثوان معدودة قال كلارك:

- ما اسمك أيها الفتى؟

فقال الغلام:

- ادعى عدنان، هكذا أطلق علي.

فسأله كلارك:

- أهكذا لقبك والداك؟

فأجابه الغلام مبتسما وقال:

- أنا ربيب ملاجئ لا أكثر يا سيد كلارك، ووحدي هنا ليس لدي عائلة ولم أرها من قبل، وليس لدي مأوى أو أهل، ليس لدي أحد في تلك الحياة.

فقال كلارك وقد ضاق صدره حزنًا:

- ومن لقبك بهذا الاسم يا عدنان؟

فأجابه عدنان قائلا:

- من لقبني بعدنان هو رب عملي، يدعى (برام)، فكما تعلم الملاجئ ليست بالقدرة الكافية للرعاية، وعندما يشتد ساعد أحدنا يبدأ رحلة مغامرة أخرى ويتأهب للرحيل، تُباع كسلع إلى رجال شتي، منهم أُسَر السادة الأماجد، ومنهم رجال العصابات ومنهم كما برام، أنت وما يخبئه لك القدر

فقاطعه كلارك في فضول وسأله:

-كما برام كيف؟ ما هو عمله أو عملك يا عدنان؟!

فأجابه عدنان برباطة جأش وعلى سبيل المزاح وقال:

-أنا رجل أعمال...

فوجد كلارك هذا الجواب شيئًا فكاهيًا فراح يضحك، فقال عدنان:

- حمدا للقدير، فلقد استطعت أن أجعل كلارك جوزيف يضحك!

واستأنف عدنان حديثه وقال:

- عملي هو بائع، أحمل بضائع عديدة ملك لبرام وأستعرضها في الطرقات، أمد يدي للمارة كي يعطوني القليل من النقود، أحمل حقائب السادة، أطوّق العربات وأنظفها. أنا أعمل في أي شيء يا سيد كلارك أستطيع أن أجني منه الأموال وبرام له علاقة بالعاملين في الملجأ، كذلك من النقود يعطيهم حفنة من ليبيعوا له الأطفال غير البالغين، وعندئذ يراعيهم فترة يسيرة، من ثَمَّ يُطلقهم يتجولون في الطرقات لبيع بضائعه. وهناك الكثير غيري وحصيلة الأموال والأرباح كافة تعود له.

وفي أثناء ذلك، وجد كلارك هذا العمل بغيضًا للغاية، وغلبت عليه الدهشة وقال وهو ذاهل:

-الأموال بأكملها يا عدنان تذهب لبرام! ألا يتقاسمها معكم؟

فقال عدنان:

-لا، فهو حاد في حكمه وغير عادل. وأعلم أن هذا يُعد احتقارًا لنا، ولكن لا نستطيع أن نتفوه بحرف واحدٍ، البتة، فلا نمتلك مأوى غير مأواه.

فرد عليه كلارك بتأثر وقال:

- وأين تسكن يا عدنان؟

فأجابه عدنان وقال:

- هناك زقاق قذر يلي شارعين من هنا يتسع لنا جميعًا ولا بأس به، لكن في الحقيقة إنه أشد من القبو قوة، ولكن لا يوجد لدينا غيره، نستشعر البرد دائما وتتصلب أوصالنا ونقضي يومًا وآخر دون طعام، وما باليد حيلة.

وسرعان ما استطاع عدنان التماس عطف كلارك على الفور، ليخرج كلارك محفظة أوراقه النقدية ويعطي له الكثير من الأموال، ولكن أبي عدنان أخذها وقال:

-من غير ريب، أنا بحاجه إليهم يا سيد كلارك، ولكن صدقا سيأخذهم بأكملهم مني ولن يعطيني شيئًا، فلا حاجة إليهم.

ابتسم ابتسامةً امتزج بها الرضا والاستحسان لحاله، واستهل حديثه وقال:

-أنت رجل عظيم ونبيل للغاية يا سيد كلارك، وأرجو ألا أكون ضيفًا ثقيلا عليك!

فقاطعه كلارك وقال:

-أنت مُرحب بك هنا في أي وقت يا عدنان..

وضغط على كفّيه بود وصدرٍ رحب، ليُشعره بأنه ليس وحده.

وبعد دقائق، أنشأ عدنان يسرد له قصصًا بائسة قد عاصرها طوال السنوات التي حياها معه وستائر الظلمات والإهانة التي أسدلها برام عليه، وبعدما انتهي عدنان أردف قائلا:

- الأيام يا سيد كلارك، الأيام... فهي تكسبنا حكمة وبراعة كل يوم، فالأيام الحادة والشاقة التي نرفضها اليوم والتي تستنزفنا وتأخذ من أرواحنا ما هي إلا تمهيدًا لأيام سعيدة قادمة، وتلك هي معتقداتي. وأنا واثق بأنني سأمتلك قصورًا باذخة يوما ما، لا ريب في ذلك.

فقال كلارك:

- أنت غلام رائع يا، عدنان وبإرادتك وعزمك ستمتلك حتما، لكن لا تستسلم قط، فأنت تمتلك قوتان قوة الجسد وقوة العقل، وتلك نعمة بالغة يا عدنان.

وفي أثناء ذلك، استطاع عدنان رؤية برام، وكان قد شرع في البحث عنه في الطرقات، وبقلق بالغ قال عدنان:

- يا للهول إنه برام

وأحس كلارك بانقباض صدر عدنان ورهبته، فقال له:

- هون على نفسك قليلا.. لا بأس يا فتى

ثم نقل كلارك طرفه حول، برام كانت شخصية برام يبدو عليها المكر والاحتيال، ذو وجه مستدير أغمق اللون مشؤوم المظهر، يرتدي بنطالا أحمر اللون وسترة زرقاء اللون ولم تكن ملابسه متناسقة قط، وبيده ساعة على ما يبدو بأنها مصنوعة من الذهب الخالص. ثم نقل طرفه مجددا نحو عدنان وقال:

- لا بأس يا عدنان سأدعوه للقدوم إلى هنا وأخبره أنني من دعوتك للجلوس معي.

فقال عدنان:

- لا سيزيد الأمر سوءًا أقسم لك سأستأذنك الآن يا سيد كلارك للانصراف، فربما لو أسرعت الآن في ذهابي إليه سيكون عقابي ضئيلا!

وسرعان ما وافقه كلارك ليركض عدنان بأسرع ما أمكن قدميه، وكان ذلك تحت أنظار كلارك ويترقب ما سيحدث. وبعدما عبر عدنان الطريق ولحق ببرام وكان بالقرب الكافي منه، وإذا ببرام يرفع كفيه وينهال على عدنان بالضرب المبرح وواصل ذلك، ثم وجه نحوه رفسةً بقدمه طرحته أرضًا، وأخذ يجره على الطرقات في مشهد أثار ضيق كلارك وأورثه انزعاجًا شديدًا للغاية، ولكن لم يدر أيتعين عليه أن يتقدم أو يتأخر أو يفعل أي شيء حيال ذاك الأمر، ولكن قرر ألا يقحم نفسه الآن، وأنشأ ينظر إلى عدنان بحزن بالغ حتى رحلوا.

وبعد ساعة مما حدث، بدأ كلارك باستعادة سيمائه المألوفة بعدما غار على فؤاده جمهرة من الأفكار المؤلمة والتعاسة الحادة في آن واحد، ولقد كاد أن ينسى موعده اليوم مع سيلين بعدما كان في صبغة من الحماسة البالغة للذهاب. وهنا استعاد كلارك رباطة جأشه من جديد ونهض من مقعده واتجه داخلا للاستعداد، وما هي إلا دقائق وأنشأ يولي مظهره الخارجي شيئًا من العناية، ليبدو أنيقا مفعما بالجاذبية حتى إذا هيّأ مظهره وبدا كمألوف عادته أو أكثر بقليل بعض الشيء. قام بالخروج من المنزل والانطلاق بسيارته، واستغرق كلارك التفكير طوال فترة سيره، ويقول في نفسه:

- ها هما أبويه يحظون برفاهيتهم بطرق غير شرعية وبحب شهواني عصف بهما على الأرجح، ليسلبوا منه رفاهيته ويحلوا عقدة مصيره معهم بعد قدومه ويتركونه وحده للحياة لتلقنه دروسًا قاسية في صغره، وما أصعب الحياة وما أصعب دروسها ثم تأتي جمعية العناية بالغلمان القذرة تلك (الملجأ) وتتاجر بهم وتسلب منهم

ما تبقى من روحهم بوحشية وتدينهم بالمتاعب وتغرقهم بها. يا أسفا على ذلك! ويحيا هذا الغلام حيًا ميتًا فالموت لا يشترط به أن تفارق الروح الجسد وتفر إلى السماء، ففي بعض الأحيان قد تكون على قيد الحياة ولكن جميع ما بداخلك ليس على قيدها. وفي بعض الأحيان قد تكون على قيد الحياة ولكن الحياة ليست على قيدك. وكم من جثث من بيننا وحولنا لفظت أنفاسها الأخيرة منذ أمد بعيد ولكن أبت أن تطرح أرضا، وما زالت صامدة بعد نحن أحياء كأشباه أموات أو أموات كأشباه أحياء...

وعندئذ بدأت دمعات كلارك تتساقط، وفي غضون دقائق، وفيما كانت هذه الخواطر تجول في ذهنه تلقى كلارك اتصالا هاتفيًا من سيلين...

- لا، أنا بخير يا سيلين

كذلك أجابها كلارك بعدما شرعت بالتساؤل وتفتعل دور المعالجة النفسية إذا كان هناك خطب ما، فلقد أجابها بصوت خفيض للغاية يشوبه الحزن فقالت:

- حسنًا، أين أنت؟ أنا في انتظارك

فأجابها كلارك بنفس نبرته السابقة:

- دقائق قليلة وسأكون أمامك.

ولم يجد كلارك متسعًا من الوقت لتقليب قضية عدنان ويقص على سيلين تلك القصة، فلقد رأى أن واقع عدنان لن يغيره حديث، بل فعل، وهو أهل له.

وعلى مطالع الليل المعتم، كان كلارك أمام منزلها ليصحبها، وأخذ يُقبل يدها، ثم وسع أفق نظراته نحوها وأنشأ يتمعن بها، فعاجلته بالنظر هي ورمقته في تمعن شديد مِن ثم انطلقا نحو المشفى لرؤية بيل على مهل، الهمسات والطمأنينة ولكن لم تكن ودية كأي لقاء يحدث بين طرفين، بل همسات مصاحبة لودٍ وطمأنينة امتزج بها الحب، وشد من أزر سيلين صمت كلارك، فأنشأت تتكلم وتداعبه وأخذت تجرّه في الحديث بعدما غمرت فؤاده بابتساماتها الجذابة، ليبادلها هو الآخر، حتى وصلا إلى بيل.

لقد كان بالمشفى ومعه أفراد أسرته لتستقبلهم زوجته بصدر رحب، ولكن ما لفت انتباه كلارك هو أن بيل كان راقدًا في فراشه شارعا في نومه فشعرت زوجته بالخجل قليلا وسرعان ما قالت بأن بيل كان يعول من جراء جراحه وغلبه النعاس ليحظى بقليل من الراحة ليبتسم كلارك تبسما ينم عن الرأفة، ورأى أنه من الأفضل أن يلتزما الصمت، فقد حدث له أمور مشابهة من ذي قبل. وبعدما أمضوا فترة من الزمن لا بأس بها يبادلون ضروبًا من الأحاديث قرر كلارك وسيلين المغادرة حتى لا يطيلان عليهما. وبعد مغادرتهما أيقنت زوجة بيل بأن فؤاد كلارك زاخرا بالعطف والمودة، فتلك الزيارة تعد خارج نطاق لقضية، وأخذت منحدرًا أُسري وتشكلت به وفوق ذلك جاء ولبي نداء الصداقة.

اشتد الظلام، ولم تكن سيلين تدرِ أين سيذهبان بعد ذلك، ولكن كلارك كان يعلم جيدا إلى أين. (فلامنكو) كانت وجهة كلارك ليذهب بها إلى هناك، وكان اختياره موفقا بالتأكيد ليفهمها من طرف خفي أنه يريد الزواج منها ويضع الأمور في نصابها، فلقد كان هذا المكان مغريًا مدهشًا إلى حد لم يخطر في ذهن أحد، رائحة عطر مميزة تملأ أرجاء المكان، والمكان به سر عجيب للغاية، فهو يولد الإحساس بعدم وجود أية ضغوطات، فبالك لا ينشغل وأنت بداخله لتفكر بمثل تلك الترهات التي تحدث خارجا، المكان يشع بالأمل والهواء كأنك تستنشق من الجنة، الأشخاص مسالمون وكأنهم فئة راقية معينة من سكان المدينة، لا أحد يجول عبثًا بل جميعهم يمتلكون عاشق أو عاشقة, فهنا ما يعد بملتقى العشاق وفلامنكو معروف عنه بأنه البداية الأبدية للسعادة كما يقولون، فعروض الزواج تبدأ من هنا، ولقد خطط كلارك لتلك الأمسية سابقا وفي ابتسامة سيلين العذبة وهيأتها اللطيفة خفضت رأسها أرضًا خجلا مما حدث حتى أمست مستوية على مقعدها، فلقد نصبت الشموع في ثريات زجاجية حول المائدة التي توجهوا نحوها والموسيقيين قد اصطفوا حولهم، ثم أضافت محيلة نظرها صوب كلارك بخجل أبكم وقالت:

- لم هذا كله؟!

وكأنه تلميح بائس لعدم علمها بما يخطط له كلارك وتظاهرها باللامبالاة، فلم يطل كلارك إجابته في الوقت الراهن وقال: - ستعلمين فيما بعد...

وابتسم، فأنشأت سيلين تبتسم هي الأخرى، ثم عضت على شفتيها لتلتزم الهدوء لا أكثر. وفي أثناء ذلك كان من حول كلارك وسيلين زوجين أو ثلاثة من الراقصين على أنغام الفلامنكو، وفيما يبدو بأن أمورهم جرت كما خطط لها وانتقلوا من مراحل التواعد إلى الزواج ثم شيئًا بعد شيء، وإذ بسيلين تلقي نظرة خاطفة على كلارك وتشيح وجهها عنه، كانت في انتظاره ليتحدث ولكن كلارك كان وكأنه لم يتعلم النطق بعد. وفي شيء من المداعبة تركت سيلين خجلها جانبًا وقالت:

- تحدث! ألا تعلم ذلك؟

فتبسم كلارك وقال في شيء من التملص:

- تبدين رائعة اليوم!

فراحت سيلين تضحك بهستيريا فائقة فهي تعلم تحديدا لم دعاها كلارك إلى هنا، ثم قالت:

- هل أخبرك أحد ما بأنك ستعاقب إذا أسرفت في الحديث يا كلارك؟

وما هي إلا لحظات ليؤانس كلارك في نفسه الجرأة ويجمع شتات نفسه ويبدأ بالحديث، فقال:

- لا أعلم مقدمات لتلك المناسبة يا سيلين حقا، ولكن أرجو أن تدعيني أتحدث حتى أصل إلى الخاتمة، كما أنني لم أمتلك شجاعة هذا الحديث طوال ما حييت من العمر لقوله لأحدٍ من قبل، بالنسبة لعرضي الزواج من فتاة تعيش كما تعيشين أنتِ وهو أنكِ غير مكرهة على فعل أمر لا يروقك، تعيشين بحرية ولك حرية التصرف في جميع أفعالك، تشائين ما يأبوه وتأبين ما يشاءه، حياة ما هي إلا أمنية للعديد من الفتيات، فلم يكن ذلك مناسبًا إطلاقا، وكان عسيرا علي في بادئ الأمر، وفي مقابل ماذا؟ أن تنتقلي إلى منزل شخص، وتهتمين بلمعان حذائه، وربطة عنقه الحمقاء، وتختارين ألوانها، وتهتمين بثيابه ومظهره أثناء خروجه، فأناقة المرء بالخارج تمثل شخصية زوجته بالداخل، ثم يطلب منك مهاما عسيرة طوال الوقت، ونختمها باهتمامك البالغ له أثناء مرضه. يا إلهي! أن تنتقلي من اليابسة إلى قاع البحر بسبب قرار خاطئ منكِ فقط، ولكن أنا أظن أنكِ بالكاد تستطيعين التفريق بين الولاء والعبودية.

وبعد تفكير ملي أحضرتك إلى هنا لأعرض عليكِ الزواج.. ثم أستأنف حديثه في حزن وقال:

- لقد كنت كسفينة تتخبط بين الصخور التي تحيط بها من جميع الاتجاهات، صخور من الملل والتعاسة والحزن والمرض، وكم من السعادة تنقصني إلى الآن، لقد كنت بحاجة إلى تلك العلاقة المتينة التي لا سبيل إلى حطامها لأبتعد عن المأساة التي أعيشها، ولطالما كانت الوحدة مأساة، بل أشد، وما يقال عنها غير ذلك ما هو إلا تضليل زائف بائس غبي وأخرق.. ما الفائدة في أن تمضي يومك بأكمله في فراشك أو في غرفتك؟ ما فائدة غرفتك حقًا؟ وما فائدة غرفة تسبب لك الضعف أكثر من القوة؟ ما فائدة أحاديثك التي لا تستطيع البوح بها؟ وإلى متى ستظل طي الكتمان؟ ما الجيد في أن تكون في أشد حالات حزنك ولا أحد بجانبك؟ كيف ستتعافى؟ ما الجيد في أن تشعر بالألم وأنت وحدك؟ هل يُشفى الألم وحده أم هل تأمل بمعجزة تشفيك؟ ما الفائدة من أن تتحطم في الخفاء ولا أحد يعلم بأمرك شيء ثم تتظاهر بالثبات خارجا؟ في الحقيقة يا سيلين لقد سئمت وحدتي سأما عظيمًا. أنا بحاجة إلى شخص يطمئنني وأنا في أشد لحظات انهياري، لا يقبل أن تكون مأساتي لي وحدي ويشاركني إياها، يدعمني ويفتخر بي، وأستطيع البوح بما بداخلي له ولا يراني عبئًا ثقيلا عليه. وخليقًا بي أن أكون أسعد بكثيرٍ لأبقى معك، أن أشاركك كل شيء، أن أطلب من نفسي المشورة، فأنتِ ستكونين نفسي، أن أحدث الناس من خلالك، أن أقع في حيرةٍ فأسأل شخصًا يسكن بداخلي، ألا وهو أنتِ...

وإذ به يتمهل ثوان معدودة عن الحديث ثم يقول:

- هل تقبلين الزواج بي يا سيلين؟

فأجابته سيلين بسلاسة وسهولة وقالت:

- بحق الرب وإنه لشرف عظيم لي يا كلارك!

ليقاطعها كلارك ويقول:

- عجبا! هكذا فقط؟! لقد دخلت في متاهة من تعذيب مُزرٍ بكلمات لم أكن أستطيع سابقًا أن أمضي وأفيض بمثلها، ولكن الأمر لم يتطلب منك بضع ثوان!

وإذا بفيض من الضحكات تتوالى بينهما واستغرقا بها، وفي أثناء ذلك أخذ يدها ونهضا من مقعديهما معًا، فقد حان وقت رقصتهما، ليضع يديه على خصرها عاقدًا إياها مثبتًا نظره بعينيها وما هي إلا ثوان قليلة ليقترب بشكل كاف، وكما تقتضي العادة المألوفة وبعاطفة عارمة راح يقبل شفتيها صنيعا لما حدث بينهما منذ قليل، وبعد ذلك استأنفا الرقص. ثم أردفت سيلين قائلة وهي تمعن النظر إليه بابتهاج شديد:

- لن يكون من العسير علي أن أعيش في محيطك، فقد بتُ أفهمك كثيراً يا كلارك، وقد بتّ الآن استثناءً في حياتي، تلك الحياة التي لربما ترونها جميعكم كاملة، ولكن ما هي إلا صورة لما أريدكم أن تروه، ولكن الآن أستطيع أن أجيز لنفسي قول أن حياتي أمست منذ الليلة كاملة، وشكلا آخر وستصبح قريبا هادئة وسعيدة وذات قيمة كبيرة عندي، وأنا سعيدة لتلك الظروف التي ساقتني إليك حقا.

وعلى اعتبار أنني لا أهوى الرومانسية المبالغ فيها، وأرى أنها غير ضرورية البتة، ففي حقيقة الأمر لن يحدث مع أحدنا مثل هذا، وأرى أنه من الأفضل للقارئ أن يقتنع بذلك.. سأنتقل إلى نهاية هذا المشهد.

وبعد انتهاء تلك السهرة مصاحبة معها موعد إقامة حفل زفافهما ومراسم عقد قرانهما، والذي هو بعد أسبوع واحدٍ من الآن توجه كلارك إلى منزل سيلين مباشرةً، حتى إذا توقف أمامه هبط من سيارته في وقار على نحو أسرع، وعندئذ وكما يفعل أي امرئ في تلك الأثناء أخذ يفتح لها باب سيارته، وعلى نحو لا يعكر صفوه بشيء ظل ينتظر دخولها المنزل، ثم قال لها باعتزاز ووقار:

- طاب مساءك يا سيلين

لتجيبه سيلين بابتسامة رائعة وتقول:

- وأنت أيضًا يا كلارك

وفي غضون نصف ساعة أو أقل، كان كلارك بداخل منزله، ولم يستغرق الكثير من الوقت ليبدل ثيابه وينقلب مسرعًا إلى فراشه.

***

الثالث من تشيرين الثاني..

"منذ سنوات لا أتذكرها، لم أدوّن رسالةً، ولكن ها نحن، أعترف أنني حسدت شخصًا يومًا ما حسدًا بالغًا لأنه كان محبوبًا من أسرته وحياته ذات قيمة عظمى له، يمتلك زوجة تهيم به حبًا وأطفالا كُثُر من حوله. أما أنا فأمتلك أشباحًا تحيط بي فقط، حتى لا يمتلكون الجرأة للظهور أمامي لنتبادل أطراف الحديث، وأعتقد أن الملائكة قد فروا هربًا منذ وقتٍ طويل. منذ سنوات لم أخاطب روحًا وأتعلق بها، ليس لأنني أهوى وحدتي، بل من أجل أنه لم يكن هنالك شخصٌ من قبل أخاطبه، لم ينادِني سوى المرض ولم يتشبث بي أحد أكثر من التعاسة.

والآن أتساءل: أي قوة يخبئها المرء في أعماقه ليحيا وحيدًا وبمفرده ويتظاهر بأنه بخير؟

على كلٍ، صارت وحدتي الآن شيءٌ من الماضي والأشباح التي تحيط بي صارت تشعر بالتعاسة".

في الصباح الباكر، استيقظ كلارك وأخذ يدوّن تلك الرسالة في دفتر ملاحظات لم يلجأ إليه منذ فترة بعيدة، وعندما تجاوزت الساعة الحادية عشر هاتفته سيلين لتخبره بأنها ستأتي إليه اليوم في تمام الرابعة وقد أحضرت هدية مناسبة له وتأمل أن تنال إعجابه، فأخبرها كلارك بأنه سيكون في انتظارها. وسرعان ما أغلق معها وراح يجهز المنزل ويهيئه لاستقبالها على غير عادته، ولم يكد كلارك يستريح ليأخذ أنفاسه بضع ثوانٍ ثم يواصل مجددًا، فالعمل من أجل من يملأ قلبك بالحب والعشق لا يوجد به أي مشقة. وظل كلارك هكذا حتى فرغ من تنظيف المنزل قبل قدومها.

وفي أثناء ذلك بدأ الوقت ينفد شيئًا فشيئًا حتى دقت الساعة معلنة تمام الثالثة. وعلى نحوٍ مفاجئ لم يسبقه إخطار البتة، كانت سيلين أمام منزل كلارك قبل موعدها ولم تحطه علمًا بقدومها باكرًا، ولكن وأثناء دخولها دهشت سيلين من رؤية كلارك جالسا مع شخص في حديقة منزله ويتجاذبا أطراف الحديث في حرية بالغة، وكأنهما شيئان من عائلة واحدة أو من أقرب الأقربون لقلبه. كان هذا الشخص طويل القامة داكن اللون، قوي البنيان مفتول العضلات، ويضع وشما على ذراعه ولا بأس بثيابه ومظهره شاع الدم في وجهها عند رؤيتهما هكذا، وتوقفت محلها في صخب واضطراب ليستبد بها شيء من التردد في الدخول، وظلت تحدق بهما في سيماء من الدهشة ليعتريها جمهرة من الأفكار المحيرة، فهي كما تعلم عن كلارك أنه لا يمتلك عائلة ولم تر حوله أي أحدٍ من قبل، وهذا الشخص لا يشبهه قط!

ولكن ما هي إلا ثوانٍ معدودة، وبمحض إرادتها تغافلت عن هذا الأمر، فلقد رأت أنه ومن الحكمة عدم تدخلها فيما لا يعنيها بعد، وربما سؤالها هذا سيزعج كلارك، وخير ما تفعله الآن هو التماس رضائه فقط. ولم تنقض خمس دقائق من انتظار سيلين بالخارج ورأت هذا الرجل يغادر المنزل وقد انفضت أحاديثه مع كلارك، وسرعان ما استعدت للدخول، وإذا بشيء يذكرها بأنها قد نسيت تماما إحضار تلك الهدية لكلارك، ووقعت في حيرة من أمرها بالدخول بدونها أم العودة ولكنها قد استقرت على العودة مجددًا وإحضارها ثم أردفت قائلة:

- اللعنة على الذاكرة وعلى الحظ العثر! بدلا من قدومي قبل موعدي سأتأخر عنه الآن.

وأورثها ذلك انزعاجا شديدًا.

كان الجو عابقًا بتلك الرائحة التي تسبق الأمطار، والطيور مندفعة في أرجاء السماء باضطراب، الرياح شديدة للغاية والجميع يوصد مصاريع النوافذ للاحتماء، انطلقت سيلين بسيارتها على عجلة. ولكن كان هناك ازدحام شديد، فالجميع يريد الوصول قبل هطول الأمطار، والتماسًا للعجلة علمت سيلين علم اليقين أنها لن تصل مطلقًا قبل ساعتين أو أكثر إن لم تجد حلا آخر. وبشيء من الفطنة اتجهت أقصى يسار الازدحام وبدأت بالمرور بالشوارع الجانبية تاركة الشوارع الرئيسية وهاربة من الازدحام، وبدأت بالإسراع. وفي أثناء ذلك تلقت اتصالا هاتفيًا من كلارك لكنها لم تجب، فلم تكن

تعلم بماذا تخبره بعد، وظلت هكذا حتى وصلت منزلها، استغرق ذلك الأمر نصف ساعة أو أكثر. وأثناء خروجها من منزلها والعودة إلى كلارك كانت الساعة قد اقتربت من الرابعة فهاتفها كلارك من جديد ولكنها بادرت بإجابته هذه المرة لتخبره أنها في طريقها إليه، وتلا ذلك وصفا دقيقًا لحالة السير فيما أناب عنه تأخيرها وعدم وصولها إلى الآن، وإمارات عن ذلك وبمثل الاهتمام البالغ الجدير بالحب من كلارك نهض ليعد الطعام حتى يتشاركانه معًا عند وصولها، وبدت سيلين مطمئنة النفس الآن حتى بعدما تأخرت عن موعدها، ولكن هذا لم يدعها تنطلق ببطء، بل كانت منطلقة بأسرع ما أمكنها من ذلك.

وعند الرابعة والنصف وخمس دقائق، كانت سيلين أمام منزل كلارك، وكان المطر قد شرع بالهطول، ولكن لم يكن بالشكل المتوقع، بل كانت حباته ضئيلة الحجم لا تُحدث فوضى.

استقبلها كلارك بلطف وصدر رحب، ثم لحقها بقبلة، وكان كلارك قد جعل البيت بالدفء الملائم ليبدو وكأن الشمس تشرق، بداخله، فقد تنبأ كغيره من سكان المدينة من الوهلة الأولى بتساقط الأمطار وعند دخولها أخذ معطفها ووضعه على المقعد، وكان المنزل مفعمًا بالسكينة والجمال والنظافة فقد بدا عليه عناء كلارك طوال اليوم ومشقته. وعلى قدرٍ من الحماس أخرجت سيلين تلك العلبة ليبادر كلارك بفتحها، لقد كانت ساعة قيمة ماركة (Tag Heuer) الرائعة، لتوقع في نفس كلارك المسرّة. من ثم تبادلا الأحاديث في الكثير والكثير من المواضيع دون توقف، ضروب من الضحك والأحاديث الفكاهية وتبادل الأدوار في الإصغاء والآذان المرهفة، وبنظرات أظهرت أن أفكارهما على تشابه التمعت عينا كلارك.

وبعدما مر الكثير من الوقت وأخذ الليل يحلولك، قاما سويًا بتجهيز مائدة الطعام وشرعا في تناولها، وباتا يستمتعان بعشاءٍ رائع بصمت مُطبق منهما. وعندئذ، وبعد انتهائهما، خرجا وجلسا في الحديقة ليتنسما بهواء المساء العليل، ولكن كان الجو لاذعًا لينزوي كلارك منكمشًا على نفسه في جلسته، وتقوم سيلين بضمه نحوها، وراحت تمسك كلتا

يديه بيدها لتشعره ببعضٍ من الدفء، وتميل عليه في رقة الزهر إذا داعبه النسيم، ليمضيا قليلا من الوقت هكذا على تلك الصورة. كما ظلت تداعبه بكلماتها اللطيفة وتغازله حتى رحلت.

***

اليوم التالي..

يمر بأحاديث كثيرة مع سيلين وتجهيزات لحفل الزفاف.

الخامس من تشرين..

أيضًا يمر بارتياب بعض الشيء من كلارك.

السادس من تشرين..

يمر وكلارك بأفضل حال، وليس بالأفضل في آنٍ واحد، تستبد به السعادة والقلق معًا.

السابع من تشرين...

لم يمر، فكلارك لم يعلم طريقًا للنوم ولم يغمض له جفن.

الثامن من تشرين..

كلارك ما زال على يقظة، ليس مستاء، بل سعيدًا للغاية بقدر ما يشعر بالقلق من حياته المقبلة. قام بإرسال الدعوات إلى عددٍ ضئيل من معارفه، وسيلين هاتفت أصدقائها ومعارفها وأرسلت إليهم الدعوات كذلك، وذهبت مع كلارك لاختيار هدية مناسبة لحفل الزفاف ومتابعة طقوس الحفل والإعداد.

التاسع من تشرين الثاني..

أقيم حفل الزفاف في حديقة منزل كلارك، فلقد كانت الحديقة كمرجٍ أخضر وارف تزينه زهور جميلة الشكل نتيجة زراعة منظمة من كلارك، وسط عزف ناي خيزراني على الطراز القديم، وعددًا من المعارف والأصدقاء من الرجال والنساء لا بأس بهم، على رأسهم بيل بيتشو وعائلته. وضع كلاك خاتم الزواج في الإصبع الرابع من اليد اليسرى لسيلين والذي كان مرصعًا ببعضٍ الألماظ الثمين، ثم قطعا وعودًا للرب أمام أحد القديسين وجميع الحاضرين أن يتشاركا أحلامهما معًا، وأن يقاتلا من أجل بعضهما وأن يكون حبهما أبديًا لا ينقطع، وأن لا يبتئسا في ليالِ الضيق، والكثير والكثير....

ثم أطرقت لحظات وصوّب كلارك نظراته نحوها مبتسمًا ليقتربا شيئًا فشيئًا، وقاما بتقبيل بعضهما، وقد أطالا في تلك القُبلة، وصاحبت معها تصفيقات حارة. وعندما انفضا بدأ يرقصان معًا. وما هي إلا لحظات يسيرة ليليهم كثرة من الحاضرين يطلقون العنان لأحاسيسهم وعواطفهم.

وسرعان ما انقضى الوقت، وبعد ردحٍ من الزمن رحل الجميع، وتمنى لهما بيل حياةً أبدية سعيدة، وتبقى هؤلاء العروسان. وبعد بضع لحظات وحينئذ أخذ بيدها وتوجهَا إلى الداخل.

في صباح الثلاثاء، العاشر من تشرين الثاني..

أيقظ كلارك صوت تغريد الطيور على غصن أشجار الحديقة، ليغمره ضوء الصباح، ولم تكن سيلين بجانبه على الفراش، فاعتدل جالسًا وكان سينهض لولا انه سمع صوتها في المنزل، فالتزم السكينة، فقد كانت تُعد له الإفطار، فأوقعت في نفسه مسرة بالغة. ومن الصباح الباكر حتى منتصف الليل ظل يحاورها ولم يفارقها قط.

توالت ليلة بعد ليلة، وكانت سيلين كريمة وعذبة وتبالغ في الاعتناء بكلارك، وكان هنالك لين ولطف ملفق في طيات حديثها، وبدا كلارك يفكر بأنه قد رحل الضجيج والاضطراب الذي كانا فيهما وعاشا في غمرتهما، وأنه قد رحل ذاك الإحساس المؤلم والمتشائم الذي تسبب له بالتعاسة، وبات هناك من يكترث لأمره، ويكرس حياته لإسعاده من غير أي اهتمام لشيء آخر وبلا أي مقابل، وبات هناك مصدر دفء واهتمام في المنزل لا ينقطع.

توالت الأيام، وانقضى أسبوع في المنزل، حتى دقت ساعة العمل والعودة من هاتف جديد (إيتالوا ألكسندر) رئيس مخفر شرطة المدينة كلارك جوزيف يستدعيه ليحقق في جرمية قتل، قد وقعت منذ ساعات. وبعدما أخبر كلارك سيلين بالذهاب عقد العزم وتأهب للرحيل، لقد كان الضحية رجل يدعى (ألفارو واكر)، صاحب عدة متاجر شهيرة وكان رجلا فاحش الثراء، ويُعد من أغنى رجال المدينة، لقد تربصت به زوجته وعشيقها فترات عديدة لتشعل الزوجة فتيلا من النار لقتل زوجها، وحثت عشيقها ليقدم على تلك الخطوة لتأخذ كافة أمواله وتتزوج به ويدير المتاجر برفقتها. لقد تلقى ألفارو طعنة في صدره أفقدته الكثير من الدماء، ولقي حتفه جراء ذاك النزيف.

حقق كلارك في تلك القضية بفطنة بالغة، وأدان زوجته بفعلتها تلك، وتلقت عقابها هي وعشيقها. من الناحية الأخرى قضى كلارك وسيلين أياما هادئة، ولكن الأمر كعادته لم يخل من العبث، أحس كلارك بشيء غير مألوف يحدث لسيلين قد أصابها وغيّر الكثير من شخصيتها، وبدت السعادة تتلاشى شيئًا فشيئًا، ولم يكن يعلم كلارك ما الأمر بعد وما خطبها، حتى دق ناقوس الخطر، هاتفت سيلين كلارك في ظهيرة يوم شديد البرودة أكثر من المعتاد وكانت مذعورة مروعة الفؤاد وأخبرته بأن هنالك شخص ما

قام بخطفها هي وبيل، وسيقوم بقتلهما قريبا لتستنجد به وهى الآن في خندق في أقصى جنوب البلدة، وقامت بوصفه له إلى أن تلقت صفعة أوقعت هاتفها وأغلق الخط.

اكفهر وجه كلارك في صبغة من الذعر والارتياب خوفا على سيلين وأن يصيبها مكروه، هرول مسرعًا إلى سيارته وانطلق بأقصى سرعته وقد غلب عليه الفزع من أجلها، ولم يستغرق الكثير من الوقت حتى كان أمام هذا الخندق، ترك سيارته جانبًا ولم يتقدّم بها كي لا يحدث فوضى ويُثير انتباهه من بالداخل كان هذا الخندق ذا نوافذ عالية لم تكن سهلة التسلق وقضبانها صدئة ولم يكن على مقربة من سكان البلدة، ظل كلارك يحوم حوله جيئة وذهابًا إلى أن وجد ثقباً استطاع العبور منه إلى الداخل، واجتنب الباب الأمامي، وفي حرص شديد أجال كلارك طرفه فيما حوله حتى رأى سيلين وبيل مقيدين ومطروحين أرضًا، فظل كلارك يترقب، ويمعن في الانكفاء ناظرًا والذعر يملأ عينيه، وينتظر تلك اللحظة التي يبتعد فيها هذا الوغد من أمامهم لينقض عليه ويقتله دون أن يحدث بالآخرين أي ضرر.

ظل يترقب وينتظر إلى أن ابتعد قليلا من أمامهم وانحرف عن مساره لتخرج طلقة نارية من مسدس كلارك وتطرحه أرضا، ثم ركض كلارك بأقصى سرعته بارتياب وحرص شديد ليفك قيدهم جميعًا:

- هل من آخرين هنا؟!

هكذا قال كلارك، ولكن لم يتفوّه أحدهم بحرف واحد، ليكرر كلارك هذا السؤال مرة أخرى ولكن لم يلقَ إجابةً لهذا، واكتفى بيل بالنظر إلى سيلين فقط، ونيابة عن ذلك صوبت سيلين مسدسها برأس كلارك لتشعل معها كل ظنونه وتوقعاته. وفي أثناء ذلك، لم يتفوه كلارك بحرفٍ واحد وأنشأ يتأملهم فقط بحسرة مما يحدث، وإذ به يهمهم في نفسه ويقول:

- هل القاتل في تلك القضية كان سيلين وقد تعاون معها بيل وجميعكم رفقة تشارلز أم ماذا؟!

اشتدت الرياح في تلك الأثناء، والعتمة كانت تسود أرجاء المكان بطريقة مخيفة ومرعبة وإذا ببيل يتقدّم لينتشل مسدس كلارك من يده، ثم أردفت سيلين قائلة:

- هل فاجأك الأمر أم ماذا؟ وهل قتلك لشريكك في سلسلة جرائمك تلك ستخيل علينا أنا وبيل؟

فقال كلارك:

- لا أفهم ما تقصدينه يا سيلين حقا!

فقاطعته بعنف:

- لا، بل تفهم جيدًا ما أعنيه، أنطون فينغال الطريح أرضا الآن هو شريكك في كافة جرائمك البشعة التي ارتكبتها، وكان جالسا معك في حديقة منزلك قبل زواجنا، ورأيته بمحض عيني وها هو الآن قد أفضى بكل أسرارك أمامنا. لقد فوجئ بضربة رأس من بيل طرحته أرضا فاقدًا وعيه، وتم تقييد يديه وقدميه، وجئنا به إلى هنا ليستفيق أمامنا، وما إن أفاق وانهلنا عليه بالضرب المبرح ولم يستغرق الكثير من الوقت ليخبرنا بكل شيء..

وبنصف ابتسامة وبسخرية استأنفت حديثها وقالت:

- لقد كان شريكك ضعيفًا للغاية على عكس ما يظهر، يا للأسف!

استغرق كلارك بعض الوقت ليجد إجابةً لما تردف به سيلين أمام بيل، وقد علم بأن بيل ليس له يد في ذلك، فلو كانوا على اتفاق لما كان كلارك حيًا إلى الآن.

ولما كانت سيلين تقول مثل ذلك الحديث العثر، فلقد كان حديثها أكثر غرابة على كلارك، فلم يكن معه أحدٌ بالحديقة ولا يعلم من هو أنطون فينغال حتى، لقد أحس بأنه شريكها وبدأت أفكاره تتصارع، ولكن بلا فائدة، فهو لا يعلم شيئًا عن تلك الأحاديث. ثم قال إجابةً عن اتهامات سيلين ودفاعا عن نفسه:

- حسنًا، وعندما رأيته بعينيكِ، لم لم تقتليني حينها؟ أو تُقدمي بلاغاتك علانية وتتخذي كافة الإجراءات القانونية معي وتضعين الأصفاد بيدي لأنال عقابي؟ أو تواجهينني بذاك الأمر؟ ولم استغرقت كل ذلك الوقت لتقدمي اتهاماتك ضدي؟

ليحيل بيل نظره نحو سيلين وينتظر إجابتها، وبشكل عشوائي من سيلين أردفت بأشياء غير مألوفة أخرى وقالت:

- أردت أن تبعد الشكوك حولك بأن القاتل في منزلك وقد أصابك بطلق ناري، ولكن في حقيقة الأمر أنت من فعلت ذلك بيدك عن عمد لتبعد الشكوك من حولك، وبين ظنوني وحدسي علمت بأن هنالك خطب ما، وقد ساورتني الشكوك في هذا الأمر وحولك بالتحديد. أتذكر عندما قمنا بزيارتك في المشفى الصحي. لقد وجدت تلك الرصاصة التي كانت بجسدك بجوارك وأنت لم تعلم عنها شيئًا، وأخذتها في الخفاء لأعلم بأمرها وحاولت خلال تلك الفترة أن أجمع كافة المعلومات حولها، والمفاجأة كانت أن طراز تلك الرصاصة يماثل طراز ما نستعمله في الشرطة، وطراز الرصاصة يتطابق مع مسدسك، ومسدسك نفسه ينقصه رصاصة، فلقد قمت بفحص خزانتك أثناء نومك للتأكد من عددها، وبالفعل كان ينقصها رصاصة. وبعد قتلك لشريكك الآن بات مسدسك ينقصه اثنتين.

فقال كلارك بضيق شديد:

- هراء ما تقولينه هراء كيف لم ألحظ هذا الشر الذي تكنيه بداخلك؟ كيف ذلك!

كانت الأجواء أكثر غرابة على بيل أيصدق ما تذعن به سيلين أم يصدق كلارك الذي يقف مذعورًا مدافعًا عن نفسه، وقد وقع في ضروب من الحيرة، وهنا بات بيل شارد اللب ودخل في صمتٍ طويل. واستأنف كلارك حديثه وقال:

- هذه اللعبة السخيفة لا بد أن تنتهي يا سيلين، كفي عن ذلك!

وبشيء من الفطنة واجتنابًا للخطأ قال بيل:

- حسنًا، سأعلم من منكما على صواب الآن...

وإذ به يُخرج خزانة كلارك ليعلم عدد الرصاصات التي تحتويها، ولكن المثير للدهشة أن خزانة كلارك كان ينقصها رصاصة واحدة فقط، وهي التي قتل بها أنطون. وماهي إلا ثوان قليلة وأردف كلارك قائلا:

- اصبحت شخصًا معاد للبشرية، مولعة بهواجس الشهرة وتعانين العديد من الاضطرابات النفسية والعصبية، والتي تهيّئ لك تلك الأفكار المضطربة وتسيطر على تصرفاتك لتقنعي نفسك بها، وهذا بجانب لمتعك بذكاء جنائي، شديد وهذه الأفعال الشيطانية مألوفة من غريب أطوار مثلك يا سيلين أنتِ مذنبة في حق نفسك وفي حقي وفي حق الجميع.

كان هذا الرد قد أثار ضيق سيلين وأصابها مس من الجنون، ولم يروقها البتة، وحينئذ راحت تصرخ وتهذي ناطحة جدران الخندق بضيق ونفور شديد. وإذا ببيل يقلب دفة شكوكه حولها، وبسيماء تؤذن بعدم تصديقها انهال عليها باللعنات والسباب فضاقت به ذرعًا، وأطلقت رصاصتين من مسدسها استقرا بصدر بيل وطرحتاه أرضًا.

وسرعان ما رأى كلارك هذا هبط نحو بيل ذاهلًا وأخذ يمسك برأسه ويتحسس وجهه ليلتقط بيل أنفاسه الأخيرة على يد كلارك، وبشيء من الحزن قال:

- لقد ورطت نفسك بالقدوم إلى هنا يا بيل وكان خليقا بك ألا تكون هنا!

كانت سيلين تشاهد احتضار بيل وعلى شفتيها ابتسامة مخيفة، وفي انتظار نهوض كلارك هو الآخر ليلقى حتفه ورددت قائلة:

- الأمور الآن ستسير رغم أنفك، وما خططت له الآن سيتحقق.

واستأنفت حديثها وقالت:

- أنا التمساح في بركة المياه الآن يا كلارك، ولن يوقفني أحد، وها قد جاء دورك..

واستهلت حديثها وقالت:

- يا للأسف! الشرطة ستتكبد خسائر كبيرة بعد موتك بكل تأكيد، ولكن لحسن حظهم أنني هنا...

فشد كلارك من رباطة جأشه وقال بلسان هادئ وقوي:

- برغم أنني أعترف بارتيابي الآن، ولكن الحقيقة هي أن موتي كان أمرًا. حتميًا منذ ولادتي، ولا يهمني كيف ولا أين. ولكن أتدرين يا سيلين! لا أفكر في الموت الآن...

استطاع كلارك رؤية حديدة صدئة مقوسة على مقربة منه، ولم تلحظها سيلين، فقد حجب بيل رؤيتها. فراح كلارك يمسك بها، وما هي إلا ثوانٍ وكانت مرتطمة بوجه سيلين لتحدث ندبه بوجهها وتسيل الدماء منه بغزارة. وفي أثناء ذلك، ركض كلارك بسرعة بالغة نحو ذاك الثقب لتركض سيلين خلفه، وانهالت عليه بالرصاص، وظل يتمايل يمينا ويسارًا كي لا تصيبه إحدى رصاصاتها، واستطاع الفرار نحو بحيرة بجوار ذاك الخندق. ولكن لسوء حظه لحقته سيلين، وكان قد تبقى معها رصاصة واحدة فقط فتنفست ثباتًا وهدوءا وأطلقتها باحترافية شديدة لتخترق جسد كلارك وتسقطه فى تلك البحيرة مفارقًا للحياة وتنتصر في نهاية المطاف. وما إن اقتربت منه سيلين لتتأكد من موته لتجد جثته تطوف لأعلى وحولها بركة من الدماء، فقهقهت سيلين بشدة بالغة وتأهبت للعودة إلى المدينة لتسرد لهم قصة كلارك القاتل وتسلط الأضواء عليها وتنل مرادها.

***

- كان أنطون فينغال وكلارك جوزيف شريكان في القتل، كلارك يدبر القضايا وأنطون يقوم بفعلها وقاموا بقتل الجميع إلا أن جاء دوري أنا وبيل. قام أنطون بخطفنا في خندق

بعيد عن الأنظار لحين قدوم كلارك وفعله ما يشاء بنا من تعذيب وغيره قبل القتل، ولكن نجحنا بالنضال والمقاومة واستطعنا قتل فينغال، ولكن كلارك قام بقتل بيل وأصابني بتلك الندبة...

وهنا الدموع ترقرقت في عينيها واستأنفت حديثها وقالت:

- وسرعان ما أمسكت بمسدسي، وفر هذا الوغد هاربًا وكنت خلفه، وفي نهاية المطاف استطعت قتله ومعاقبته بما جنته يداه، وجثته الآن تطفو في البحيرة طعامًا للأسماك...

وتابعت حديثها وقالت بحزم:

- لقد تبرأتُ من هذا الزواج اللعين، وهذا الوغد ليس بزوجي البتة.

وبعد انتهائها زرفت دموعا غزيرة كان سببها موت صديقها العزيز بيل بيتشو. وبعدما أتمت تلك المسرحية بنجاح وكما خططت لها نالت حشدًا من التعاطف نحوها، ولقت مرادها، بالفعل فسيلين جوميز بات اسمها يتردد في كافة أنحاء المدينة لا ريب في ذلك، واحتلت الصفحات الأولى من المقالات، وجميع الصحف باتت تتحدث عنها، بجانب اللقاءات التلفزيونية العديدة، ونالت أوسمة شرفية كثيرة عن كشفها هذا اللغز المريب.

وبعد شهر كامل عاشت به سيلين تحت وطأة أضواء لامعة لا مثيل لها، تركت منزل كلارك وانتقلت إلى منزل آخر لتنهال عليها العديد من القضايا الكبيرة والمتنوعة، وبدأت رحلتها من جديد. كُلفت بتحقيق شامل للضرائب لرجال فاحشي الثراء في المدينة، ومن يدفع الأموال تسقط عنه التهم الضريبية.

واستعملت نفوذها ومكانتها لتصل باتفاقات مع رجال العصابات في المدينة لتتغافل عمدًا عنهم وتجني ثمارًا من الأموال منهم، وما إن اكتفى موسم حصادها من الضرائب والنهب لتدبر قضايا قتل وإزهاق أرواح وتلفق التهم للأبرياء، وظلت هكذا مهووسة بجمع الأموال والشهرة وتجسد المعنى الحقيقي للشر لتُشبع شهواتها الشيطانية.. والزبدة

هنا أن لا أحد يعلم متى تتغير شخصية المرء أو ما الدافع لارتكابه إثماً ما، ولكن القاعدة الأكثر أهمية هي أن استمرارك في الشر هو أمر متوقف عليك فقط.

وعقب حديثي هذا لن أكتب الخاتمة، فلم يحن الوقت بعد...

بعد عام كامل...

وفي ليلة من إحدى الليالي العتمة، تحديدًا في جوف الليل، حيث الشوارع صامتة خالية من المارة، والحركة ساكنة للغاية لدرجة أنك تكاد تسمع صوت أنفاسك من شدة الصمت، كانت سيلين على يقظة جالسة بمقعدها متدثرة بلحاف عتيق، وبيدها مشروب ساخن ترتشفه شيئًا فشيئًا، وإذ بها تستمع لأصداء أقدام تدور بداخل منزلها بالدور الأسفل، ثم توقفت الأقدام فأرهفت سيلين السمع لتخطو الأقدام مجددًا، وتتوقف، وهكذا.. وبعد فتراتٍ يسيرة من هذا الأمر نهضت سيلين من مقعدها وهبطت الدرج بخطى واهنه وقد علت على وجهها أمارات الفزع. وبنظرات حذرة بارتياب وقلق أخرجت مسدسها وباتت تترقب وتحوم بكافة أرجاء المنزل خوفًا إذا كان لصا أو شيئا، لتجد ظلا ينطلق نحوها، فصاحت صيحةً تكاد تكون زعيقًا، وما هي إلا ثوان لتستعيد ثباتها الانفعالي بعدما ران الفزع والشحوب في وجهها فلقد كان هذا الظل لقطة شريدة المأوى قد دخلت من النافذة التي تغافلت عن إيصادها، فتوجهت سيلين نحو النافذة وقامت بوصدها بإحكام وارتقت السلم وعادت أدراجها مجددا نحو فراشها لتغوص في نوم عميق.

وفي الصباح التالي، انطلقت سيلين لتشهد إحدى الجنازات لصديق لها في العمل وسط حشود عنيفة وكثرة من الأشخاص، وسرعان ما شارفت على الوصول وقامت بفتح باب سيارتها والهبوط منها لتتسلط الأضواء عليها مجددًا كالعادة، لم تكن سيلين طوال تلك المدة تخطئ في أي شيء تفعله، بل كان ما تفعله دقيقا بلا أي عوج.

كان هناك رجلا جذابًا، إذا نظرت إليه شعرت بذلك، مظهره حسنًا وأنيق للغاية وشديد الوسامة، كان من إحدى رجال القانون يقف بجوارها ويتبادلان أطراف الحديث، وإذ بغمرة من هذا الحديث شيء ما يخطف أنظار سيلين ويُشتت انتباهها، ففي تلك الأثناء كان هناك من يحدق بنظرات قاسية مصاحبة لمكر شرس، وهنا حدث تقلص غريب قد طرأ بحاجبيها وأغمضت عينيها نصف إغماضة،

وقد هبطت العتمة على وجهها لتمعن النظر به، ولكنها لم تستطع أن تدرس وجهه في كثير من التدقيق، ولم تنجح في التعرف عليه، فسرعان ما أطلق بسمةً عريضة لسيلين وكأنه يحذرها، وتلاشى وكأنه طيف. فاستبدت بها هيستيريا رهيبة من الفزع لتترك الجنازة على عجل وترحل بذعر شديد دون مبالاة لمن كان يقف بجوارها.

ظلت طوال الطريق مهزولة وترتعد، وسرعان ما عادت إلى منزلها لتجد أمام باب المنزل ما لم تتمنَ رؤيته كان صندوقًا متوسط الحجم أسود اللون، وكان به بعض النقوش الصغيرة كان مألوفًا لسيلين لا ريب في ذلك وقد خلق بها الفزع وشاحت بنظرها والذعر يملأ عينيها وباتت تجيل به يمينا ويسارًا فلم تجد احدا. فأخذته وتوجهت إلى الداخل بحرص شديد وقد أغضبتها تلك الواقعة بكل تأكيد بجانب خوفها مما حدث، وما هي إلا دقائق لتفتح هذا الصندوق وتجد رسالة بداخله:

"التمساح في بركة المياه مفترس للغاية يا سيلين، ولكن يسهل اصطياده إذا خرج بالبر. وها أنا أنتظر، وقد حان الوقت الآن لإيقاظ بعض من شياطيني الناعسة. فأتلي صلواتك الأخيرة بعناية قبل أن يتهاوى عالمك التعيس، وتخطف أنفاسك البغيضة وترحلي. وأرجوا ألا أكون قد أسأت إليك بحديثي".

وبعدما أنهت هذه الرسالة علمت علم اليقين بأنه بشكل أو بآخر كلارك ما زال على قيد الحياة، أيا كان السبب أو كانت الذريعة التي تسببت في إبقائه حيا إلى الآن. فعجزت عن كبح جماح خوفها لتخطر ببالها فكرة، وهي أن تطلب يد العون من رجال العصابات ليرسلوا إليها بعض من رجالهم لحمايتها من نفحات الشر التي سيقذفها كلارك.

أجرت اتصالاتها وفي غضون ساعات بات أمامها ثلاثة رجال بمثابة عشر رجال من هؤلاء الرجال الغلاظ ضخام الجثة مفتولي العضلات تفعل بهم ما تشاء ويفعلون ما يؤمرون به. وسرعان ما أمسى هؤلاء الثلاثة داخل جدران المنزل ليطمئن فؤادها قليلًا، فمن يستطع تجاوز مثل هؤلاء ويملك المقدرة على ذلك!

ومع مرور الوقت شيئًا بعد شيء، علمت أنه لا يوجد ما يدعى للقلق ولا يوجد ثمة خوف محتمل بوجود هؤلاء خارجًا، فارتدت مترنحة على سريرها قليلا حتى غلبها النعاس. وفيما كانت نائمة، كان هناك من يباغت هؤلاء الرجال وكأنه شبح من بينهم، يركض على العشب بسرعةٍ بالغة جيئة وذهاباً، ثم يتوارى عن الأنظار وكأنه يعلم تمامًا أين يذهب، وكأن هذا المنزل مألوفًا له. وما هي إلا دقائق معدودة لتخذلهم قوتهم أمامه ويسقطهم واحدا تلو الآخر، ويطيح بهم، الترتفع في الهواء صيحات

صرخات عالية تليها ضجة مدوية قد حدثت بالخارج، واستطاعت سيلين سماعها على نحو جلي فايقظتها من نومها. وعندئذ هرولت مسرعة إلى أسفل، وهبطت درجات السلم في الظلام الحالك، ثم قامت بفتح الباب والتقدم بضع خطوات لتجد هؤلاء الرجال متراصون فوق بعضهم وكانهم جزءا أرفف المنزل على نحو غير متوقع البتة، لينمو على وجهها ذعر ليس ثمة ما هو أشد منه، ثم قالت في نفسها: - -- اللعنة على هذا!

وفي غمرة من هذه الجلبة تلقت ضربةً برأسها طرحتها أرضًا وأفقدتها وعيها كان الليل قد هبط. وكان هذا الشخص يجتاز طرفاً مهجورة قذرة وينحرف عن مسار المدينة ويبتعد عنها، ويمضي متسمًا بالسرعة والتعجل. وبعد مرور الكثير من الوقت، وبعدما أمست سيلين بداخل جدران المنزل، بدأت تستيقظ وتستعيد وعيها، ولكنها لم تستطع الوقوف فقد وجدت نفسها مكبلة من يديها وقدميها بحبال عتيقة على مقعد خشبي في غرفة مظلمة، وكلما حاولت أن تحل قيدها يرافقها الفشل لتزداد الأمور سوءًا وتغرق في ضروب من اليأس العميق والتشاؤم.

وفي تلك الاثناء، أنشأت تحاول مرارا وتكرارًا. وفي غضون ذلك كان هناك من يترقبها بصمت وبمحاولات أخرى مخيبة الرجا وعلى نحو إنذاري قال:

- ما زلت تأملين الفرار إذا ما أتيحت لكِ تلك الفرصة، ولكن لا سبيل لهذا الأمر اليوم.

وبينما أيقنت بالفعل أن هذا صوت كلارك، راحت تطلق من شفتيها صرخات مدوية للاستنجاد، وعندئذ لم يتماسك كلارك من الضحك وأردف قائلا:

- بشكل أعلى يا سيلين حاولي بشكل أعلى!

لتصمت سيلين على الفور بعدما علمت أن ليس ثمة طريقه لإغاثتها من يده وسط سخط وإحساس بالخسارة. وعندئذ أضاء كلارك شمعة ووضعها على الطاولة أنارت الحجرة إنارة خافتة، ثم نظر إلى سيلين بنظرات وحشية ليضاعف أثر التهديد في وجهها، وكأنه شبح خرج من القبر منذ لحظات وقد تغضنت على وجهه انطباعات تنم عن الشر،

فغلب الشحوب وجهها وروّع فؤادها وارتعد كل عضلة من عضلات وجهها من جراء الاهتياج.

- كيف يعقل ذلك؟ لقد شاهدت جثتك بعيني؟

هكذا قالت سيلين، وأخذت تعصرها الخيبات والأسى وانحسر الدمع في عينيها، ليبتسم كلارك مجيبا عليها:

- هذه البحيرة أرض صيد عظيمة، وتمكن أحد الصائدين من العثور علي وإنقاذي من الموت ومداواتي تحت يده.

واستهل حديثه وقال:

- يا للشيطان من هؤلاء الذين يمتلكون قدرة كبيرة على تنميق الكلمات ليعبروا عن مدى كرههم ومكرهم بحب شديد، ويظهروا عكس ما بداخلهم!

وفي تلك الأثناء راحت سيلين تقهقه بشدة وقالت:

- يا لك من أحمق!

وفيما كانت سيلين تنطق بتلك الكلمات جرّ كلارك كرسيا وجلس مسترخيا أمامها وسدد عينيه صوبها وقال:

-لقد كنت ذكية بعض الشيء، ولكن لا يأخذك التذاكي كثيراً، فأنا دائما أسبقك بخطوة. ففي تلك الليلة التي كان أنطون فينغال جالسًا بها معي هاتفني أن هناك من يقتفي أثره بسيارته، وقال لي أنه أنت، فأخبرته أن يتظاهر بعدم رؤيتكِ ولا يبالي بأمرك الآن، لأعلم ما تنوين فعله، لم أعلم حينها ما يدور بداخلك، فتركتك لرمي كروتك أولا ولم أفعل بك شيئًا. وفي الوقت ذاته تظاهرت بعدم المبالاة، وكانت حجتك التأخير والازدحام، وكأنكِ لم تدر بأي شيء، وفى ليلة أخرى شاهدتكِ وأنت تمسكين مسدسي،

فلم يغمض لي جفن منذ حادثة أنطون واقتفائك أثره، حسبتك للحظة ستقتليننـي، وكنت على أتم الاستعداد لمقاومتك، ولكن أخرجت خزانتي وبدأت بحصر الرصاصات بداخلها، ثم وضعتيها مجددًا فأوقعتيني في حيرة من أمري وبين خيارين لا ثالث لهما، إما أن تبلغي عني وتنفذي ندائكِ للواجب وإما أن تخططي لقتلي لتأخذي كافة أموالى أولا وتتسلط أضواء الشهرة عليك ثانيا. وبعد مرور يومٍ واثنين علمت بأنكِ تطمعين للخيار الثاني، ألا وهو الأموال والشهرة بعدما كان بيدك كافة الأدلة لتزيني يدي بالأصفاد، ولم تفعلي بها شيئًا. عندئذ علمت بأن قصة الخطف مُدبرة لا محال للإيقاع بي، ولكن ما جعلني أذهب إليكم هو الإيقاع بك، لأجعل الصائد يقع في شر أعماله والفريسة هي من تنقض عليه. وأجعل بيل في حيرة من أمره ويظن بك الظنون وأتخلص منكِ أمامه وأغير خططك دون أن أقتلك، وقلبتُ الدفة عليكِ بالفعل بعد تخطيط شاق منك وبعد عناء بتخلصي من أنطون أولا، فكيف أقتل شريكي إن كنت القاتل! من ثم واجهتك بعدم الإدلاء بي بعد معرفتكِ بأنني القاتل، يليها تلك الخزانة الناقصة رصاصة واحدة فقط، ولكن ما لم أتوقعه هو قتلك لبيل، وأن الشيطان قد استحوذ عليكِ سابقًا حتى بعدما أصبتني بتلك الرصاصة وشرعت في قتلي عمدا كنت أسبقكِ بخطوة، فأنتِ لم تعلمي طريقًا قط لأموالي وفاجأك أمر أنني قد جمعتها بأكملها من المصارف قبل موتي.

وبشيء من الندم قال:

- لقد كنت أطمع أن تجري الأمور على نحو أفضل بيننا، وكنت أنوي أن أقلع عن القتل لأحظى بحياة هادئة، ويا للحماقة التي كنت بها!

فقالت بابتسامة ساخرة:

- لقد أخبرتك سابقا بأنني لا أحبذ فكرة الزواج اللعينة تلك، ولم يهمني الزواج بقدر ما تهمني الأموال، وسيصعب عليك فهم ذلك يا كلارك فأنت لم تواجه مثل تلك الأمور، وسيسهل عليك إدانتي بكل تأكيد، فأنت لم تعلم للفقر طريقًا....

ليقاطعها كلارك في تلك الأثناء ويقول:

- لم أواجه مثل تلك الأمور ولم أعرف للفقر طريقًا؟ أووه يا سيلين! حسنًا، سأتجشم عناء شرح ما حدث لي من البداية، فأنت تستحقين ذلك..

أشعل كلارك سيجارته وبدأ بتنفيس دخانها في الغرفة، ثم أردف قائلا:

- لقد كان العالم مليئا بالاحتمالات ولكن احتمال حدوث ما أتمنى ينفي احتمال أن العالم مليء بالاحتمالات. أنا الناجي الوحيد من الموت، الناجي الوحيد من المجاعة الشرسة التي طرقت بيوت الفقراء وعاثت تحطيما في أجسادهم لتتركهم عظامًا وهنة يقتاتها الجوع، أنا الناجي الوحيد مِمَّن سقطوا في قبضة الموت من شدة فقرهم، أنا من هناك وواحد من هؤلاء الذين يعيشون على هوامش العالم وحوافه، وجميعهم نالوا الفقر به، فهو بالمجان. أنا واحد من هؤلاء الذين يقلقون اليوم في كيف سيحيون غدًا. لقد أتيت من ذاك العالم المصبغ بالجهل والفقر والخرافات والذي يتحكم به هؤلاء السادة الأشد جهلا المترفين في الحياة ويرسمون لنا أوهام الصبر ويزيفونها ويمحقون من يطالب بحقه أو يعارضهم دون رأفة وعطف. وكانت جريمتي أنني ولدت ذو عقل فَذ، لقد تشابهنا أنا وأنتِ فقط بأننا لم نستطع اللحاق بقوات الشرطة بعد تخرجنا، فمَن أنا لألحق بهم ومن هو والدي؟ أو أي منصب تعتليه والدتي؟ لقد كانت والدتي تأمل أن تراني كبيرا ذا شأن وكرست حياتها لذلك، ظلت تعمل طوال حياتها في المنازل بأجر يومي لتدير لي الأموال بشكل يجعلك حائر

في كيف صمدت طوال تلك المدة ولذاك العناء نهارًا وليلا أسبوعًا بعد أسبوع شهرًا بعد شهر وأعوامًا بعد أعوام. وبعد تخرجي بعثت إلى المدينة وعُرضت على رجل يدعى (ويليم) من كبار رجال الشرطة والبلدة وسمعت منه قدرًا كافيًا من الحديث الساخر على مظهري، فأنا لم أكن أملك سوى حذاء مهترئا يتفلت منه أصابع قميئة متسخة، وقميص به العديد من الرقعات، وبنطال متسخ. وتوسلت إليه كي يعطيني فرصة الانضمام، ولكنه رفض ولم يعطني ولو فرصة واحدة، وبعد رفضي من الشرطة وفي أثناء ذلك ماتت والدتي على الفور من إثر الصدمة، ماتت موته شنيعة بشعة، وقد كابدتها المتاعب ومزقها الشقاء ولم تحظ برفاهية قط في حياتها، بل لم ترها ولو ثوان. وفي ظروف مماثلة، تمنيت لو كنت واحدا من هؤلاء السادة الذين هم أكبر

عنائهم هو النهوض من فراشهم في وقت مبكر والركض بضع دقائق من أجل خسارة الوزن، كنت أتمنى أن أكون واحدا من هؤلاء الذين لا يحتاجون للإبداع لكسب الأموال الطائلة، بل ينفقون الأموال لشراء إبداع غيرهم، كنت أتمنى لو أن والدي شخصا يحظى بالثراء الفاحش واستمتع بالرخاء والرفاهية، كنت أتمنى أن أكون من هؤلاء الذين يتحكمون بالنفس وكل شيء تحت إمرتهم، ولكن لم يحدث ذلك. وبعد أشواط كثيرة من حياة كادحة مؤلمة اخترت صنع قدري بنفسي بعدما طوقت الظلمات جسدي وأمواج الدموع حطمت الصبر بداخلي. مارست ابتزازي وليم، يتبعه تهديدات بالقتل، فما عاد هنالك شيءٌ أخسره، ولكن ما علمته عن الأثرياء هو أنهم يريدون أن يعمروا في الأرض لثرائهم ويخشون الموت كثيرا. فقبل إلحاقي بالشرطة، وفي أثناء ذلك كان إذلاله لي عالقًا بذهني، وتذكرت هذا الاستياء البالغ والبغض الذي واجهته منه وعاملني به، وأردت الثأر، وموتُ والدتي أورثني غصة خنقت أناملي ولم تغادرني إلى أن غادرت روح وليم من جسده. والطريف في هذا الأمر هو أنني من توليت تلك القضية، وأدنت بها ابنته لأدمر حياته أيضًا حتى بعد موته، وكانت أعظم قوة للشيطان يمتلكها في ذاك الحين هو استخدامي، وأقنعني بذلك، فأنا شرير فقط في بعض من أفعالي، ولكن هم أشد ضراوة بأفكارهم، أنا أستطيع إيقاظ شياطيني الناعسة أحيانًا لقتل نفس ثم أواجه تعذيب نفسي، بينما هم شياطينهم على يقظة دائما ويستطيعون قتل حياة بأكملها ويتلذذون بفعلتهم، أنا أمارس شري في الخفاء بينما هم.. بينما هم أمام أعيننا ورياح شرهم تهب بقوة وعنف يوما بعد يوم. كنت أعلم أنه يمكن لعالمي أن يتهاوى ويسقط في طرفة عين، ولكن وأنا ألتقط أنفاسي الأخيرة وقبل رحيلي، سأقول لقد حييتها كما أردت

ورفضت الخضوع للقطيع، وسأرقد بطمأنينة. وفي تلك الآونة استمريت في القتل وزهق الأرواح وإدانة أبرياء ليس لهم يد بذلك إنصافا لما حدث لي، حتى جاء دور تلك القضية، وسأخبرك بكل شيء حدث بها..

لقد قتلت هذه الفتاة بعدما استطعت اجتذابها وإيقاعها في غرامي، ثم أدنت ديفيد، وبحيلة أخرى قلبتها على ريك والبصمات تطابقت عليه، لأن أنطون ذهب إليه بسكين القتل وأخبره أنه سيتم إدانته وقتله إن لم يضع تلك السكين في شرفة ديفيد حتى تقع الأنظار على ديفيد ويُعدم، فقام ريك بفعل ذلك، وبعدما تم إلقاء القبض على ريك ضربي المبرح له جعله يقدم على الاعتراف على نفسه وتم شنقه. نعم كنت رائعة بمعرفة

أنني من تعمدت إصابة كتفي ولم يكن أحد بمنزلي، ولكن في تلك الليلة قمت بقتل ديفيد وإلحاق الضرر به.

وهنا اعتلت الدهشة وجه سيلين وقالت وهي حائرة:

- كيف وأنت في تلك اللية كنت معي في المشفى! حسبت أنطون من قام يفعل هذا الأمر!

فقال كلارك حسنا سأخبرك:

- انطون إن ذهب في تلك الليلة إلى ديفيد لن يخضع له ديفيد بسهولة، وسيلحق الضرر به، وإن قتله أنطون على الفور لن يحدث ما بالحسبان وما أخطط له، ولن أستطيع تقديم اتهاماتي إلى زوجته، أتذكرين ذاك العصير الطازج الذي أتت به تلك الممرضة وعندما تظاهرت بسقمي ونفوري من هذا الطعام كان لتنصرفي من أمامي لا أكثر حتى أضع لك منوما في كوبك، وبعد قدومك واحتسائه ما هي إلا دقائق وشرعتي في النوم لأذهب إلى ديفيد دون أن يراني أحد وأكرر ذاك المشهد معه. وفي أثناء ذلك كنا نتبادل أطراف الحديث حتى فقد توازنه وانطرح أرضًا وخاض في نوم عميق لأفعل به ما أشاء وأعاود أدراجي سريعا في حرص أيضًا، وكان أمر زوجة ديفيد محتومًا لا محال، فقد تظاهر أنطون بأنه رجل فاحش الثراء وقضى القليل في الفراش معها ليرضي شهواته، ثم قام بشنقها.

وفي تلك الأثناء كنت أعلم بأمر تشارلز وخروجه من البلدة، وجاء لصالحي، فلم أخبره عن ذهابنا إلى زوجة ديفيد حتى أجعل الشكوك تدور بأذهانكم جميعا حوله، وأنتِ بوجه خاص أنه القاتل، وعندما رأينا سيارته معًا أمام هذا المنزل كان بتدبير مني وأنا من أرسلته إلى هناك. وأثناء مقابلته أخبرته أننا نعلم من القاتل، ولم يكد يفتح فمه حتى تلقى رصاصة من أنطون. وفي مراسم دفنه كانت نظراتي لفورمان تروع فؤاد أي شخص محله، وأوقعته في ضروب من الظنون وكأنني أخبره بأنني أشك به وأنه شريك تشارلز في تلك القضية، ودبرت تلك الحيلة للإيقاع به بأن أخبره أن إيمليا تعلم كل شيء عن القاتل وتشارلز أخبرها بكل شيء قبل موته، لأستطيع أن أؤكد لك بأنه القاتل، ولكن لم أهاتف فورمان قط ولم أخبره بشيء، بل هاتفت أنطون، وهو من توجه إلى إيمليا وقام بقتلها، وأتحتُ لكِ الفرصة لتجيبها أثناء اتصالها بي وهي تستغيث، وسرعان

ما قمت بإخباري فتظاهرت بالحزن والغضب في آن واحد وكنت على عجلة من أمري للذهاب إليها، وبعدما بادرنا الوصول وكنتِ بالداخل تقدمت بضع خطوات إلى الخارج لأتصل بفورمان وأخبره أن بيل هو القاتل، وأن

يبقى في منزله حتى نأتي ونأخذه ونتوجه إليه، ثم عاودت الاتصال ببيل وأخبرته بأن فورمان القاتل وقام بقتل إيمليا، وهو بكل تأكيد سيكون في منزله إن حاول الفرار فليلحق بنا إلى هناك، وفى أثناء ذلك كان وقود السيارة منسكبًا أرضا عن عمد حتى تتعطل بنا ونحن في طريقنا إليهم، وكنت أرجو أن يقتل بيل فورمان وكنت على يقين من ذاك الأمر، فبيل كان رائعا بالنسبة إلي ويفوق فورمان خبرةً واسعة، وحتى لا ألجأ لقتلهما معا هذا اليوم، ولكن حدث ما رجوته وصاب حدسي وقتل بيل فورمان. وعندما تظاهرت بالوقوع في غرامي لم أكن أرغب بأن أعود مجددا للقتل، وعقدت العزم على ذلك، وقد يبدو تغير قاتل لشخص صالح أمرا غير معقول، ولكن هذا الأمر غير مناقض للطبيعة ويحدث كثيراً. وبعد زواجنا حاولت أن أكذب على نفسي لأشعر بالراحة قليلا بأنكِ واقعة في غرامي، ولكن مكرك غير كل هذا.

وفي تلك الأثناء، عصف الشحوب والذعر وجه سيلين، وباتت تترجى كلارك ليعفو عنها، فقال كلارك:

- حسبك أن تفكري في ذلك أيضًا، لقد أمسيتِ في عداد الموتى الآن يا سيلين، وأحطتك علما بكل شيء قبل رحيلك.

وما هي إلا ثوان معدودة وتحقيقا لعدالته التي يراها، سدد رصاصة إلى رأس سيلين جعلتها تفارق الحياة على الفور، ثم تركها ورحل.

وعلى الرغم من قتلها، لم يكن كلارك مطوقًا بالاسترضاء بعد توجهه نحو منزله بعد غياب طال الكثير والكثير، وكان الجو عاصفا والهواء يعبث بأغصان الأشجار، ومع ارتفاع الضحى كان كلارك بداخل منزله، كانت مقابض الأبواب صدئة والرائحة العفنة تملأ المنزل، والعناكب قد نسجت خيوطها به والجرزان يتخذونه مأوى لهم.. صعد كلارك إلى الطابق العلوي نحو خزانة ملابسه القديمة، هذه الخزانة التي بداخلها خزانة سرية خاصة به وقد وضع بها كافة أمواله، ليجد أمواله على ما يرام كاملة العدد، ولم تعلم سيلين بأمرها، ثم قام بوضعهم في حقيبتين استعدادًا للمغادرة في الصباح.

وفي الصباح التالي، خرج كلارك من منزله مرتديًا ثيابا متسخة وحذاءً ممزقاً من جانبيه، وأخذ كافة احتياطاته لكيلا يتعرف عليه أحد من سكان المدينة، وأتجه نحو الزقاق الذي يلي شارعين من منزله قاصدًا برام، فقد أمست هناك عداوة بينهما بعد ما فعله بعدنان أمام كلارك. كان هذا الزقاق كما وصفه عدنان بالضبط، كان أشبه بالجحيم، ذو رائحة عفنة للغاية وأطفال بداخله أكبرهم لم يبلغ العشر سنوات، تصفعهم المجاعة، نائمون فوق بعض ككتل من اللحم، وكان في ميسور كلارك أن يراهم وهم يتكاتلون بكثرة حول الطعام ليلحقوا ما يلحقونه منه، وكأن الطعام لمن يسبق أولًا، وبعد انتهائهم صاح برام بهم وانهال عليهم بالشتائم، فحملوا البضائع وركضوا إلى الطرقات على الفور، وقد شاهد كلارك عدنان مع هؤلاء الأطفال وقد بدا جسده واهنا وضعيفًا، وكأن به سقم، فغار بفؤاد كلارك أنينا يرشح بالألم.

وفي خطى حثيثة، توجه كلارك إلى برام وعلى حين غفلة منه أخذه كلارك ودفعه نحو الباب ليحطمه فوقه، ثم جره كلارك إلى الداخل ممسكا بطوق قميصه، وسدد إليه لكمات متتالية بأنفه وفي وجهه، وفي غضون دقيقة كانت ملابس برام قد تمزقت من جراء ما تعرض له من ضرب، ودمائه بدأت تزرف بغزارة بالغة، وفيما كان كلارك ينهال عليه بالضرب كان يقول له:

- هؤلاء الصغار ولدوا ولم يكونوا في المهد سفاكين دماء وسارقين، وأمثالك من يفعلون بهم ذلك، اللعنة عليكم جميعا!

ولم يفلته كلارك سوى بعدما تأكد من موته، ليأخذ كلارك سيارته بعد ذلك ويضع بها حقائب الأموال ويذهب إلى عدنان. اقترب بعض الشيء من عدنان بالسيارة. وعندما رأى عدنان تلك السيارة كان خائفًا من الاقتراب حتى لا ينهال عليه برام بالسباب. ولكن أظهر كلارك له نفسه وفي غمرة من هذا وبعدما رآه عدنان وكأن الحياة عادت بداخله وبُثّت فيه من جديد، ركض نحوه فرحًا بأقصى ما يستطيع أن يركض ودخل معه السيارة ليغادر كلارك على الفور مبتعدا عن تلك المدينة وما تحمله من مكر وخبث.

- كنت أعلم أنك على قيد الحياة.. كنت أعلم، وأن جميع ما قالته تلك المحققة عنك افتراء لا أكثر!

فقال كلارك:

- وهذا سبب عودتي لك يا عدنان..

ليقول عدنان:

- ما تلك الحقائب يا سيد كلارك؟

فابتسم كلارك ونظر إلى عدنان وقال:

- إنها أحلامك أيها الفتى إنها أحلامك.

***

في تلك الآونة، حين يلتبس الحق بالباطل، يُفنى الحق تماما، ولم تعد قوى الخير تحارب قوى الشر، بل بات الشر يحارب الشر، وأكثرهم شرًا هو من يبنى.

ومع اختلاف الأزمنة والأماكن والأوقات، سيبقى الحال كما هو عليه، شاع الفساد في الأرض لا ريب في ذلك، ولا أعلم متى لهذا العالم اللعين أن يستقيم.

لا توجد خاتمة.

شكر خاص

إلى فخر عائلتي ومثلي الأعلى ووالدي الثاني:
أ/ مصطفى المغاور ي السيد العدل.

وإلى أصحاب القلوب الخضراء، المفضلين لي:
- أحمد حسن أبو النجا.
- نبيل عماد محفوظ.
- حسين مختار حسين.
- أشرف عبد الحميد شحاته.
- ماجد ممدوح العطيفي.
- محمد أسامه عبد الحميد.
- محمد مجدي عبد العزيز.
- ضياء مروان دويكات.

إلى العملات النادرة في هذا الزمن: دمنا سنوات لا نفترق.

جميع الحقوق محفوظة لدى: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

عمرو «3MR»

♚ ﴿ جلنار ﴾ ♚

أوسكار

HAMED

إنچي

JINO

الصلاة الأخيرة

هنا ، حيث الفسق ، والجشع ، والضجة ، والشهوات العائمة ، والرغبات اللانهائية من الشر ،
ولا أعلم متى لهذا العالم اللعين أن يستقيم !

م . مصطفى المتولي
كاتب شاب من سكان مدينة أجا محافظة الدقهلية
يدرس في مساحة وخرائط جامعة المنصورة
وقد صدر له رواية مملكة أرندا عام ٢٠١٩
ورواية يُخيل إليكم عام ٢٠٢١

غلاف: إسلام مجاهد

9789776803848